جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانيَة والاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي فلسفة

ميدان: علوم اجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

الموضوع:

السلطة الروحيَة والسلطة السياسية عند باروخ سبينوزا

إعداد الطَالبة:

ابتسام زروقي

الأستاذ المشرف:

د. رياض طاهير

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د.شهيدة لعموري	أستاذ محاضر أ	قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
د.رياض طاهير	أستاذ محاضر أ	قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا ومقررا
د. عمر برابح	أستاذ محاضر ب	قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا

2020/2019

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى من وضع الله تعالى الجنة تحت قدميها أمي الحبيبة التي وهبت لي نور الحياة و أنارت دربي حفظك الله ورعاك.

إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه وجعل مأواه الجنة الذي كان مأمني و سندي في الحياة.

إلى بهجة حياتي إخوتي حفظهم الله وخاصة أخي الذي أكن له الاحترام والتقدير(عبد الرزاق) و أختي الغالية (صليحة)

وابنة أخي(سندس).

إلى كل أحبابي الذي ساندوني لإتمام مشواري الدراسي والجامعي خاصة خطيبي (صالح).

إلى كافة الأسرة الجامعية وخاصة شعبة الفلسفة جامعة ورقلة.

شكـــر وعرفـــان

قال الله تعالى في كتابه العزيز: { سُبْحانك لَا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيم } الآية 32 من سورة البقرة

أولا أشكر الله عز وجلَ وأحمده على توفيقه لي في إتمام هذا العمل

أتقدم بشكري وامتناني الخالص للأستاذ" رياض طاهير"على مساعدته لي لإخراج هذا العمل وكان له الفضل في إخراجه في صورته النهائية فله مني فائق الاحترام والتقدير على جميع نصائحه العلمية.

كما أتقدم بشكري الخالص وامتناني لجميع أساتذة قسم الفلسفة كل باسمه وخاصة رئيس الشعبة"عمر برابح" على بذل ما بوسعه من أجل طلبة الفلسفة.

و أشكر كل من ساعدني على إتمام مشواري الدراسي والجامعي سواء بكلمة أو نصيحة أو بدعم مادي أو معنوي.

مقدمـة

تعتبر إشــكالية الدين والســياســة من بين الإشــكاليات التي لقيت اهتماما كبيرا في الفلسـفة منذ القدم، وهذا بسـبب تداخلهما ورؤيتهما كقضـية واحدة تعالج جُل المواضـيع التي تخصـهما. كما أنٌ مرحلة ما قبل الحداثة أي العصور الوسطى تميزت بسيطرة الكنيسة فكانت هي من لديها السلطة على الناس عن طريق استعبادهم باسم الدين الذي استعملوه ذريعة لهم ولحكمهم سواء في الأمور التي تخص الدين أو السياسة، فالكنيسة كانت هي التي تمثل كل شيء إلا أن هذا الوضع لم يبق طويلا وخاصة عند ظهور بوادر الفلسفة الحديثة التي أحدثت ثورة تغيير في كل المجالات والإشكاليات وخاصة إشكالية الدين والسياسة.

والعصـر الحديث تميَز بظهور عدة فلاسـفة اهتموا بإشـكالية الدين والسـياسـة التي أخذت أفكارهم منعرجا حاســما في هذه الحقبة، ومن بينهم الفيلســوف "**باروخ ســبينوزا**" **(1632/ 1677)** الذي اهتم بهذه الإشـكالية اهتماما كبيرا، فكانت مهمته متمثلة في كشـف رجال الدين الذي يفسرون الكتب المقدسة تفسيرا ذاتيا يخدم مصالحهم الدنيوية مغالطا للحقيقة الدينية ؛ بالإضـافة إلى تصـويبه لمجال السـياسـة الذي ينبغي أن يكون منفصـلا عن الدين، واهتمام سـبينوزا بهذين المجالين **الدين والسـياسـة** راجع إلى ما عاشـه من ظلم واسـتبداد في ظل حكم الكنيسـة اليهودية، وكذلك رؤيته الخاصـة لمعاناة الشـعوب في ظل حكم رجال الدين الذين كانوا يمثلون السـلطة الحاكمة وهذا ما دفعه لتحرير فكرهم وعقائدهم عن طريق دراسـته لعلاقة الدين بالسياسة.

ســبينوزا كان معروفا بســيره على النهج الديكارتي في كلتا المجالين إلا أنه كان يقر بنظرته للدين على أن الله واحد وتعود إليه كل الموجودات عكس ثنائية ديكارت، وهذا ما جعل طائفته تتهمه بالإلحاد كذلك دمجه لله والطبيعة على أنهما شـــيء واحد؛ كما تميزت فلسفة سبينوزا الدينية بنقده لكلتا العقيدتين المسيحية واليهودية بسبب مخالفتهما لعقائد الدين.

وتميزت فلسفة سبينوزا السياسية بدعوته لحرية الأفراد فكريا وعقائديا من خلال تطبيقه للنظام الديمقراطي الذي يسود فيه الحرية والعدل، ونظرة سبينوزا للدين على أنه عائق أمام السياسة

بســـبب تقييده للفكر، و من هذا المنطلق عالج ســـبينوزا هذه الإشـــكالية التي كانت محور فلسفته.

وعلى هذا الأساس، تم طرح الإشكاليّة التالية:

هل هناك علاقة بين السياسي والديني في نسق سبينوزا ؟ وبصيغة أخرى: هل يمكن القول بأن الدين بمثابة عامل أســـاســـي في قيام الدول وتطورها؟ أم هو عائق لتحقيق ذلك؟ وبصيغة أدق: ألا يمكن اعتبار الدين كعائق لتحقيق الرايات العامة والخاصة في تأسيس الدولة عند سبينوزا؟

ولقد تفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات يمكن حصرها فيما يلي:
كيف نظّر سبينوزا للدين من خلال فلسفته؟ ما هي أهم الأسس التي قامت عليها سياسة سبينوزا؟ هل الحرية الدينية تعتبر عائق أمام الحرية السياسية؟ إلى مدى يمكن القول أن الدين منفصل عن السياسة؟ كيف عالج سبينوزا هذه الإشكالية القائمة بين الدين والسياسة؟

ولتوضيح ذلك ومعالجة الإشكالية المطروحة قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية بدءا بالمقدمة التي تضمنت تمهيدا للموضوع، ثم كان الفصل الأول الذي يناقش الدين في فلسفة سبينوزا وقسم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث: بحيث ناقشنا في الأول تأويل سبينوزا للكتاب المقدس والمنهج الذي اعتمد عليه من أجل نقده لأهم تأويلات اللاهوتيين للكتاب المقدس؛ والثاني فكرة الله والطبيعة عند سبينوزا التي كانت محور الفلسفة الدينية لسبينوزا، وفي الأخير موقف سبينوزا من العقيدتين اليهودية والمسيحية اللتان قابلهما بالنقد.

أما الفصل الثاني: وهذا الفصل يفتح لنا المجال للحديث عن السياسة في فلسفة سبينوزا وناقشـــنا في المبحث الأول كيفية الانتقال من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني عند سبينوزا الذي يدعو فيها الاحتكام لأوامر العقل؛ وفي المبحث الثاني ناقشنا الممارسة السياسية في الدولة من أجل الحفاظ على الشعوب وضمان الأمن للأفراد؛ وفي المبحث الثالث عالجنا أهمية الحرية في مقابل النظام الديمقراطي الذي يضمن السلام والأمن لأفراد الدولة.

والفصل الأخير تضمن العلاقة بين الدين والدولة في نسق سبينوزا السياسي حيث ناقشنا في المبحث الأول السلطة الزمنية مقابل السلطة الروحية التي كان يدعو سبينوزا بفصلهما؛ أما المبحث الثاني عالجنا الحرية الدينية والحرية السياسية وذلك لضمان كلتاهما للفرد في الدولة بحيث تكون الحرية الدينية في حدود معقولة؛ وفي الأخير تطرقنا لأهم مؤيدين لفلسفة سبينوزا وكذلك أهم ناقدين له.

وفي الأخير خاتمة تندرج فيها أهم النقاط والنتائج المتوصل إليها من خلال تحليل الموضوع.

ولقد تطلب منّا في هذه الدراسة استخدام المنهج التحليلي من أجل تحليل أفكار سبينوزا من خلال العودة إلى النصوص الفلسفية، وتوضيح العلاقة القائمة بين كل من الدين والسياسة كما اعتمدنا على المنهج النقدي من أجل إبراز نظرة بعض الفلاسفة لفلسفة سبينوزا السياسية.

أما عن أهداف هذه الدراسة تتمثل في: محاولة الإجابة على إشكالية البحث المطروحة؛ فتح المجال أكثر للبحث عن هذا الموضوع وما يتصل به من جوانب أخرى. إبراز أهمية موضوع الدين والسياسة بصفة عامة وخاصة عند سبينوز في العصر الحديث والمعاصر؛ محاولة إعادة إحياء فلسفة سبينوزا من خلال ما تتضمنه من أفكار هامة في حياة المجتمع البشري.

أما عن أسباب اختيار موضوع البحث فهي تعود إلى عدم إعطاء أهمية لفلسفة سبينوزا رغم تأثيرها على العصر الحديث؛ قلة الدراسات المتخصصة في مجال الدين والسياسة لسبينوزا قلة الدراسات العربية التي تدرس مدى أهمية فلسفة سبينوزا الذي يعتبر من أهم مؤسسي الفلسفة الحديثة، والسبب الأخير الميل الذاتي للفلسفة السياسة وخاصة في العصر الحديث.

وقد اعتمدت على عدة مصادر ومراجع ومن أهمها المصدر الرئيسي رسالة في اللاهوت والسياسة الذي يعالج كل من الدين والسياسة عند سبينوزا، ومرجع منذر شيباني

سبينوزا واللاهوت، وكذلك دراسات سابقة من بينها مذكرة ماجستير الحرية والسلطة السياسية في فلسفة سبينوزا رحال عباسية جامعة وهران.

ولقد واجهتنا جملة من الصعوبات في مسار إعادة هذه الدراسة من بينها قلة المراجع والمصادر وخاصة باللغة العربية لهذا الفيلسوف خاصة الورقية، وكذلك جائحة كورونا التي بسببها لم نستطيع الاتصال بمكتبة الجامعة لاقتناء المراجع. أما في المضمون صعوبة فهم فلسفة سبينوزا لتميزها بالغموض ونسقية سبينوزا في جميع أفكاره الذي تحتاج لتحليل وفهم عميق.

تمهيد:

لقد تميزت الحقبة الحديثة بعدة تغيرات ونتج عنها عدة قضايا ومسائل، ومن بين هذه المسائل **الفلسفة والدين** اللذان يعتبران من أهم القضايا التي أثارت معظم الفلاسفة.

فالدين* يرتبط ارتباطا وثيقا بالفلسفة ويتمثل هذا الارتباط في أن كل من الدين والفلسفة يبحثان في مسألة الوجود. فالتفكير الفلسفي يبحث ويحلل قضايا الدين، ولهذا فمعظم الفلاسفة تناولوا قضايا الدين وعالجوها سواء كانت بالإثبات أو بالنفي.

من بين الفلاسفة الذين بحثوا في الدين **باروخ سبينوزا**** فهو كان له صيتا واسعا في هذه المسألة مع تحليل القضايا ومعالجتها وتفسيره للكتاب المقدس، وكان للدين أهمية كبيرة في فلسفته، فمن المعروف أن الأديان السماوية تميزت بالتحريف إلا الدين الإسلامي ، ولهذا حاول سبينوزا تفسير وتحليل الكتاب المقدس*** (التوراة،الإنجيل).

---

* **الدين:** هو لفظ يطلق على الشريعة وهي السنة أي ما شرع الله لعباده من السنن والأحكام وهي عبارة عن طاعة وانقياد، وهي مجموعة من القيم والمبادئ التي يعتنقها مجتمع من المجتمعات اعتقادا وقولا وعملا، (بنظر: جميل صليبا،المعجم الفلسفي، ج1، ص277.

** **باروخ سبينوزا:** ولد في أمستردام في 24 نوفمبر 1632م، ووفاته المنية في لاهاي 21 يناير 1677م، وهو فيلسوف ينحدر من أسرة اليهود البرتغاليين، اهتم بدراسة التوراة والتلمود وانتقد اليهوديين مما جاءوا من شائعات حول الدين الصحيح وما جاء في الكتاب المقدس، اتهموه بالهرطقة والإلحاد وطرد من الكنس اليهودي وهرب إلى لاهاي وغير كنيته من باروخ بالعبرية إلى بندكتس باللاتينية تأثر بديكارت وسار على نهجه،من مؤلفاته: علم الأخلاق، رسالة في إصلاح العقل، رسالة في اللاهوت والسياسة (بنظر: جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، (ط3؛ بيروت لبنان، دار طليعة، 2006) ص359، 360.

*** **الكتاب المقدس:** يتكون من عهدين قديم وجديد، العهد القديم يمثل التوراة ويتكون من خمسة أسفار بالإضافة إلى أسفار ملحقة، والعهد الجديد وهو الإنجيل ويتكون من سبعة سفر وأربع أناجيل.

المبحث الأول: سبينوزا والفكر اللاهوتي

لقد تميز سبينوزا بفكر عقلاني، وهذا الفكر يجسد ويوضح موقف سبينوزا الذي جاء ناقدا ورادعا للاهوتيين من خلال تأويلاتهم الكاذبة للكتاب المقدس وتصوراتهم المشحونة بالأوهام والخرافات الزائفة؛ فعمل سبينوزا كان منصبا على تكوين معرفة نقدية لتفاسير الكتاب المقدس وتأويلاته وشروحه **الفيلولوجية**.

سنتطرق في هذا المبحث إلى أهم الدراسات السبينوزية بالنسبة للاهوتيين من خلال تفسيراتهم للكتاب المقدس وما جاء به اللاهوت، إذا كيف تعامل سبينوزا مع تأويلات اللاهوت للكتاب المقدس؟

المطلب الأول: تأويل سبينوزا للكتاب المقدس

يعتبر سبينوزا من بين الفلاسفة الذين عاصروا تأويل النصوص والكتب المقدسة فهو كان يسير على طريق المنهج الديكارتي الذي يتميز بالبداهة والوضوح في تأويل الكتاب المقدس ويعتبر **التأويل** فعل دائم الارتحال فهو يجوب أغلب المجالات والحقول المعرفية، وسبينوزا بدوره مارس التأويل على النصوص الدينية للكتاب المقدس وهذه التأويلات جاءت ردا ونقدا على تأويلات اللاهوت الزائفة والمحتكرة للعقل والطبيعة، ووضح لنا هذا من خلال كتابه "**رسالة في اللاهوت والسياسة**"

يقر سبينوزا بأن الكتاب المقدس "هو كلام الله، وأنه يعلم الناس السعادة الروحية الحقة إلا أن العامة لا يحرصون أبدا على أن يعيشوا وفقا لتعاليم الكتاب المقدس وهذا باستبدال كلام الله ببدعهم الخاصة"[1].وهذا ما جعل سبينوزا يهتم كثيرا بالتأويل ويدقق في النص الديني ليكشف الغموض الذي يحتويه النص الديني والرد على التأويلات المزيفة لكلام الله الذي جاء في الكتاب.

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، تر: حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، (ط1؛ بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، ص.233

يقول سبينوزا" إننا نرى معظم اللاهوتيين وقد انشغلوا للبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة بتأويلها قسرا وبتبرير هذه البدع والأحكام بالسلطة الإلهية".[1] فسبينوزا هنا يوضح نقده اللاذع للاهوتيين على أنهم يفسرون الكتاب المقدس على حسب أهوائهم ومصالحهم الدنيوية التي تخدمهم هم فقط فهي تأويلات لا عقلية باطلة تسودها البدع والخرافات البعيدة كل البعد عن الكتاب المقدس والدين ودحضها للحكم الإلهي.

لقد اعتمد" سبينوزا" في نقده للكتاب المقدس على النقد التاريخي، فكانت المهمة الابستيمولوجية للنقد التاريخي تتحدد بالكشف عن الأسباب التي تجعل (كتاب مقدسا) يطرح نفسه مفارقا متعاليا على التاريخ، قابلا بهذا الشكل المذهل لعدد كبير من التأويلات التي ومهما اختلفت وتباينت في اتجاهاتها وآرائها ومذاهبها، فإنها تظل تجد فيه فضاء لها جميعا فعلى هذا النقد الجواب على: لماذا يتمتع الكتاب المقدس بكل هذه القابلية للانصياع لتطلعات البشر ورغباتهم حيث ينسجم مع ما يطلق عليه العاملون في حقول الابستومولوجيا* "بالوهم المركزي البشري" المتمثل بالنزعة التشبيهية، أو الأنسنة بمعنى أدق فهي التي سمحت لكل من يقيم اتصالا مع النص المقدس بأن يعتبره نصه هو بمعنى هو محاولة المؤول أن يكون صاحبا للنص، يعني المؤول يترك بصمته الخاصة في النص المؤول وهذا ما أدى إلى عدة تأويلات مختلفة ومن خلال كل هذا، فإنه يجب على النقد التاريخي أن يقول كلمة الفصل، فعليه وهو يكشف عن تاريخية النص أن يكشف عن ضلالات البشر ومقاصد اللاهوتيين التي فعلت في النص محققة به ومن خلاله مآربها الاجتماعية والسياسية."[2] يقصد سبينوزا

---

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة،** مصدر سابق،ص233

* **ابستيمولوجيا:** هي دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروضها، ونتائجها، وتهدف إلى تحديد أصلها وقيمتها الموضوعية (بنظر: د. ابراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، (د.ط؛ القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1982)، ص1.

[2]: منذر شيباني، **سبينوزا واللاهوت**، (د.ط؛ منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، 2009)، ص33.

هنا أن اللاهوتيين فسروا النص الديني لمصالحهم الشخصية والنقد التاريخي هو الذي يكشف هذه المغالطات المؤولة من قبل اللاهوتيين.

فالنقد التاريخي كان له أهمية بالغة في تأويل الكتاب المقدس لأنه يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة التاريخية بشكل حيادي، وهذا ما طبقه سبينوزا على الكتاب المقدس والتأويلات اللاهوتية". كما يعتبر النقد التاريخي للكتب المقدسة أحد المناهج العلمية التي وضعتها الفلسفة الحديثة، ويعتبر مكسبا للحضارة الأوروبية لدراسة التوراة والإنجيل نتج عنه تأليه العقل[1] "بمعنى تأليه أن يكون تفكير العامة فلسفيا ومنطقيا ليس مثلما كان محصورا في الدين فقط والخرافات فهو أخرج العقل من الجهل وجعل التفكير فلسفيا.

فسبينوزا من خلال تأويله للكتاب المقدس طهر العقول البشرية من الجهل والخرافة التي كان سببها رجال الدين الذي يستغلونه من أجل مصالح شخصية دنيوية، و كان لسبينوزا في تأويله للنص منهجا سار عليه من أجل تخليص العقول من الخرافة. إذا فما هو هذا المنهج؟

المطلب الثاني: المنهج السبينوزي في دراسة الكتاب المقدس

لقد اعتمد سبينوزا في تأويله للكتاب المقدس على منهج سار وفقه لكي يخرج من الظلام الذي خلفه اللاهوتيين إلى النور، ومن مهمات ودوافع النقد التاريخي ذلك يعبر عنه سبينوزا بقوله: " ولكي نخرج أنفسنا من هذه المتاهات ونحرر فكرنا من أحكام اللاهوتيين المسبقة وحتى لا نؤمن في غفلة منا ببدع من وضع البشر وكأنها تعاليم إلهية. يجب أن نتحدث عن المنهج الصحيح الذي يجب إتباعه لتفسير الكتاب"[2] مفاد القول هنا هو أن سبينوزا يقصد بالمنهج الصحيح الذي يجب إتباعه لتفسير الكتاب هو نفسه منهج البحث الطبيعي الذي كان آخذا بالتسرب إلى كل أشكال وأنواع البحوث العلمية إبان العصر الذي عاش فيه "سبينوز".

1: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص18

2: مصدر نفسه، ص234.

إضـــافة إلى أنـه المنهج الذي تم تبينـه من قبل مجموعات باحثة في اللاهوت وتعد مجموعات هرطقية، وقد مثل هذا المنهج بالنســبة لســبينوزا المنهج الأكثر قدرة على تحقيق غايات النقد التاريخي" لأن مصـــدره العقل ويقول عنه فهو لا يختلف عن المنهج المتبع في تفسير ظواهر الطبيعة، فهو يقوم أساسا على ملاحظة الطبيعة، وجمع المعطيات اليقينية، ثم الانتهاء منها إلى تعريفات الأشياء الطبيعية، فلذلك يتحتم علينا في تفسير الكتاب أن نحصل معرفة تاريخية مضــبوطة، وبعد الحصــول عليها –على معطيات ومبادئ يقينية– يمكننا أن ننتهي من ذلك إلى اسـتنتاج مشـروع لفكر مؤلفي الكتاب"[1]. ما نفهمه من هنا أن هذا المنهج الذي طبقه سبينوزا لتأويل الكتاب هو نفسه المنهج العلمي.

إذا إن المنهج الذي طبقه "ســـبينوزا" في تفســـيره للكتاب المقدس هو منهج علمي محض لأنه يقوم على الملاحظة والتجربة، وينتهي باســـتخلاص النتائج، فالمنهج قائم على قاعدة تنص على أن معرفة الكتاب تسـتمد من الكتاب نفســه هو" المنهج الوحيد والصــحيح والاسـتقراء يبرز المسـتوى الإجرائي من البحث منهجا تفرضــه ضـرورة ابسـتيمولوجية تتعلق بطبيعة الكتاب التاريخي في الكتاب المقدس من جهة، وبطبيعة الكتاب (موضـــوع البحث) من جهة أخرى.

فالسـياق النصـي يفترض هذا المنهج[2]"، فالنص الديني يدعو لضـرورة اسـتخدام هذا المنهج لأنه الوحيد الذي ينتهي به ســـبينوزا للوصـــول إلى نتيجة وهو الذي نســـتطيع حل الغموض الذي طاغي على النص، كما يرى ســـبينوزا في قوله" يتناول في كثير من الأحيان موضوعات لا يمكن استنباطها من المبادئ التي نعرفها بالنور الفطري، وهي قصص تحتوي أساسا على معجزات وروايات تقص وقائع غير مألوفة في الطبيعة و تلائم أفهام الرواة الذين قاموا بتدوينها و أحكامهم[1] " بمعنى أن ســـبينوزا يســـتخدم النقد الداخلي في تفســـير الكتاب المقدس الذي يعتمد على النور الفطري أي العقل.

---

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص234.

[2]: منذر شيباني، **سبينوزا واللاهوت**، مرجع سابق، ص33.

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص235.

إلا أن هذا لا يعني أن سبينوزا يستبعد الاستنباط لها فإذا كان الاستقراء هو المنهج المستخدم في معرفة الكتاب تاريخيا فالاستنباط هو المنهج الذي يجب استخدامه للوصول إلى المعرفة الواضحة التي لا تتحقق إلا بالنور الفطري أو الطبيعي وهذا النور طبيعته استنباط الأشياء الغامضة واستخلاصها بوصفها نتائج مفروضة.

ومن هنا نستنتج بأن منهج سبينوزا في التفسير هو النقد الداخلي الذي يعتمد على العقل من خلال تطبيقه للمنهج العلمي في تفسير الكتاب المقدس ونقده لتفاسير اللاهوتيين.

يقول سبينوزا سنتحدث الآن عن الفحص التاريخي عما أن ينبغي أن يكون عليه، وما ينبغي أن يعرفنا به أساسا. ولقد انطلق سبينوزا في فحصه التاريخي للكتاب المقدس من اللغة فوضع لها قواعد تتعلق بها، وقواعد وضعها للمؤلف والسياق ويقول سبينوزا في هذا "ومن الأهم يجب أن نفهم طبيعة وخصائص اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس بمعنى يجب علينا التمكن من اللغة العبرية لفهم مقاصد العهدين (القديم والجديد)، فمعرفة اللغة العبرية ضرورية قبل كل شيء[2] " فالمشكلة الأولى التي تواجه الباحث هي أن الكتاب مكتوب باللغة العبرية.

والمشكلة الأكثر تعقيدا العبرية ليست هي على الدوام أي أنها ليست العبرية في الحاضر والماضي والمستقبل، ويجب علينا اتباع منهج الاستقراء لإخضاع اللغة للفحص التاريخي، وهذا كله راجع لعدم ترك أصحاب اللغة العبرية قواعد أو مبادئ خاصة بها مما أدى إلى مشكلة"[1]، بمعنى سبينوزا هنا يبين لنا أهم عائق واجهه في تفسيره للكتاب وهي صعوبة اللغة وفوق ذلك أنها لغة ليس لديها قواعد خاصة بها، لأن كل لغة يجب أن تكون لها قواعدها الخاصة لكي يفهمها الآخرون .أما هذه الأخيرة لم يترك أصحابها قواعد لغوية لها وهذه تعدُ أكبر مشكلة واجهت سبينوزا.

---

[2]: مصدر نفسه، ص236.

[1]: منذر شيباني، **سبينوزا واللاهوت**، مرجع سابق، ص43.

والشـــرط الثاني عند ســـبينوزا هو " يجب تجميع آيات كل ســـفر وتصـــنيفها تحت موضوعات أساسية عددها محدود حتى نستطيع العثور بسهولة على جميع الآيات المتعلقة بالموضوع نفسه .و بعد ذلك نجمع كل الآيات المتشابهة أو المجُملة والتي يعارض بعضها بعضـــا[2]" فيجب هنا الالتزام بالســـياق ففحص لغة الكتاب ودورها في تاريخيته يســـتدعي الالتزام بالسـياق لأنه هو المخُول بتوضـيح معنى الآيات فلا يحق لأي واحد التدخل فيها أو تغيير معانيها.

والشـرط الثالث الذي وضـعه سـبينوزا هو" يجب أن نربط هذا الفحص التاريخي كتب الأنبياء بجميع الملابســات الخاصــة التي حفظتها لنا الذاكرة، أعني ســيرة مؤلف كل كتاب وأخلاقه والغاية التي كان يرمي إليها، ومن هو وفي أي مناســـبة كتب كتابه وفي أي وقت ولمن و بأية لغة كتبه"[3] بمعنى هنا يجب معرفة ظروف الكاتب المادية حين تطرقه لتأليف الكتاب وتدوينه "لأن المؤلف هو الدليل على تاريخية النص. فالنص هو مؤلفه بمعنى من المعاني لأنه يبرز شـخصـيته وقدراته الحسـية والعقلية[4]" لأن كل مؤلف لكتاب ما يجب أن يبرز شخصيته في تحليل الأفكار المستقاة منه، وكذلك أهم الظروف التي عاشها سواء مادية أو معنوية في كتابة هذا الكتاب.

بهذا يعتقد سبينوزا أنه قد بين على هذا النحو المنهج الصحيح لتفسير الكتاب، وشرح بما فيه الكفاية طريقته في معالجة هذا الموضوع، ولا شك عنده أن كل شخص يرى الآن أن هذا المنهج لا يتطلب نورا ســـوى النور الفطري، ويعني بهذا الأخير العقل الذي يقتضـــي استنباط الأشياء الغامضة من الأشياء الواضحة، وهو منهج يسير للغاية إلا أنه استعصى على الناس لطول نســـيانهم.وليس هناك ما يدعى نورا فوق الطبيعة كما يدّعي البعض وذلك لأن كل ما يقال عنه تفسـير بنور يفوق الطبيعة إن هو إلا ابتداع إنسـاني محض وصـعوبة

[2]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص236.

[3]: مصدر نفسه، ص237.

[4]: منذر شيباني، **سبينوزا واللاهوت**، ص34.

التفسير لا تأتي من عدم كفاية النور الفطري، بل من التكاسل والإهمال في المعرفة التاريخية والنقدية للكتاب.

وليس هذا النور الذي يفوق الطبيعة هبة من الله للمؤمنين، فقد خاطب الأنبياء والحواريون المؤمنين والكفار على السواء، وعلى هذا النحو يمكن أن يقال "إن كل ما يناقض العقل أو الطبيعة يجب حذفه"[1]. فالعقل له أهمية كبرى خاصة في فهم الدين ولا يمكن التخلي عنه في كل المواضع.

لذلك يرفض سبينوزا منهج موسى ابن ميمون الذي يعتبر أن لكل نص معاني عديدة قد تكون متعارضة، ويكون أصولها اتفاقا مع العقل، فإذا نعارض العقل مع النقل (المعنى الحرفي) وجب تأويل النص وكذلك يرفضه لأنه يدل على أن هناك أشياء كثيرة في الكتاب لا يمكن استنباطها بالنور الفطري، سبينوزا يمجد العقل وينتقد ابن ميمون في تقليله من شأن العقل فلا يمكن إهماله ويجب أن يكون النص الديني يخضع لتفسير العقل وإذا تعارض معه يجب أن يخضع للتفسير لإزالة الغموض.

وانطلاقا مما سبق ذكره من خلال عرضنا لتأويل سبينوزا للكتاب المقدس والمنهج الذي سار عليه في تفسيره للكتاب أن سبينوزا أعطى للكتاب المقدس حقه وطهره من المغالطات والزوائف التي ابتدعها اللاهوتيين والخرافات واحتكارهم للعقل، فسبينوزا مجّد العقل وأعطاه حقه المهضوم، من خلال منهجه العلمي، ويعتبر سبينوزا مثله مثل ديكارت دعا إلى ضرورة اتباع العقل في قراءة الظواهر الطبيعية الفكرية حيث قال " ليبنتز" أن كل ما فعله سبينوزا أنه حصد ما زرعه ديكارت"[1] إذا سبينوزا طبق المنهج الديكارتي في تأويله للكتاب المقدس وهو مثله مثل ديكارت يمجد العقل ويقر بأنه يجب أن يخضع كل شيء للعقل ومنه بينه الدين فسبينوزا ديكارتي بامتياز.

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص.42

[1]: جنياف رودسي لويس، **ديكارت والعقلانية**، تر: عبده الحلو، (ط4؛ بيروت، منشورات عويدات، 1998)، ص109.

المبحث الثاني: فكرة الله والطبيعة عند سبينوزا

تعتبر فكرة الله عند سبينوزا ليست مجرد واحدة من الأفكار التي تعالجها فلسفته، فكل فلسفته يمكن أن تعد بمعنى معين تفكير في الله، ففكرة الله عنده شاملة لكل شيء، فلهذا لقي مفهوم الإله عند سبينوزا الكثير من الإبهام والغموض وهذا ما ذكره في كتابه الأخلاق.

يؤمن سبينوزا بفكرة بأن الله هو الطبيعة، وهذه الفكرة وسيلة لعرض آرائه العلمية الجديدة في الكون أو الطبيعة.

لقد كان ديكارت*(1596/ 1650)معاصرا لسبينوزا، فهو ذهب إلى القول بوجود جوهرين متباينين هما: الجوهر المادي والجوهر العقلي، والجوهر العقلي بدوره إما يكون متناهيا كما هو الحال في الجوهر المادي وهو العقل أو النفس الإنسانية و إما أن يكون غير متناه وهو الله تعالى إلا أن سبينوزا كان ينزع نزعة توحيدية عكس ثنائية ديكارت، وهذا ما جعل سبينوزا يعترف إلا بجوهر واحد فقط، فإذا كان ديكارت قد قال بصفة الفكر للعقل أو الذهن، وبصفة الامتداد للمادة أو الجوهر المادي[1] فإن سبينوزا يجعل هاتين الصفتين معا من صفات هذا الجوهر الواحد الذي يقول به وذهب الى مذهب يسمى وحدة الوجود وخلاصة هذا المذهب هي أن الله هو العالم، فالعالم لدى سبينوزا لا نهائي ليس له لا بداية ولا نهاية فكل شيء تبعا لهذا المذهب هو شيء مقدس و أن الله والطبيعة متطابقان فسبينوزا يؤمن بجوهر واحد لانهائي.

ولكي يبين سبينوزا بأن الله والطبيعة فكرة واحدة بدأ أولا بتعريفه للجوهر.

* **ديكارت:** فيلسوف محدث ورياضي أصل فرنسي، ولد في لاهاي**1596**، تلقن المبادئ الايمانية واللاتينية، والتاريخ والبلاغة، وخاصة الأخلاق والمنطق والرياضيات وغيرها، توفي سنة، **1650**، من بين مؤلفاته: مقال في المنهج، تأملات ميتافيزيقة (جورج طرابيشي، معجم سابق، ص299، 303).

[1]: علي عبد المعطى محمد، **تيارات فلسفية حديثة**، (د.ط؛ الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1984)، ج1، ص165.

يعرف سـبينوزا الجوهر " أعني بالجوهر ما يوجد في ذاته ويتصـور بذاته: أي ما لا يتوقف بناء تصوره على تصور شيء آخر[1]" يعني هنا الاستقلالية المطلقة للجوهر، بوصفه العلة الأولى التي لا تحتاج إلى شـــيء حتى تتكون، بل كل ما في الوجود مفتقر إليها، إذ لا وجود دون ماهية أو جوهر، وهذا الجوهر أسيق منطقيا وواقعيا من الوجود ذاته.

كما يوضـــح ســـبينوزا وحدانية الجوهر وعدم بروز جوهر من آخر بقوله " لا يمكن لجوهر ما أن ينتج جوهر آخر[2]" وهذا بديهي لأنه لا يمكننا أن نجد جوهران يمتلكان صـــفة واحدة، وقوله أيضـــا "لا يمكن أن يوجد في الطبيعة جوهران أو عدة جواهر من طبيعة أو صفة واحدة"[3].

لأن هنا الصـفة هي الجوهر ذاته، وبما أن ماهية الجوهر تتضـمن بالضـرورة على وجوده بمعنى أن وجوب وجود الجوهر ولا يمكن إلا أن يكون موجود وغير من الإمكـان أن يتصـور بعدم وجوده وهذا ما يحيلنا إلى أن الجوهر واحد ومتناه، لأنه لا يمكن لأي جوهر أن ينتجه جوهر آخر وهو موجود، ولكن أيضا الجوهر لا يحده جوهر آخر فهو بهذا نستنتج بأن الجوهر لا متناه وتتجسد هذه الأخيرة في قول سبينوزا " كل جوهر إنما هو لا متناه بالضرورة" وكلمة الجوهر تدل على أنه "بناء الوجود ذاته الكامن من تحت كل الأشـياء والحوادث والذي يشكل غالب العالم[4]" بمعنى هنا أن الجوهر هو الذي يشكل العالم وهو الأول وسابق عليه.

ومن خلال كل ما ذكرناه عن الجوهر عند ســـبينوزا نصـــل إلى أن الجوهر له أربع صفات هي: الجوهر واحد، موجود، أزلي، لا متناه.

---

[1]: باروخ ســبينوزا، **علم الأخلاق**، تر: جلال الدين ســعيد، مراجعة جورج كتورة (ط1؛ م بيروت، مركز دراســات الوحدة العربية، 2009)، ص31.

[2]: مصدر نفسه، ص.34

[3]: مصدر نفسه، ص33.

[4]: ول ديورانت، **قصة الفلسفة الحديثة من أفلاطون إلى جون ديوي**، تر: محمد المشعشع، (ط6؛ بيروت، مكتبة المعارف، 1955)، ص.216

لقد كانت فكرة (الله أو الطبيعة) هي الفكرة الأقوى ظهورا في فلسفة سبينوزا، وقد وجد هذا التعبير تفسيرات متعددة رغم وضوحه الظاهر، إن سبينوزا يقرن دائما بين الله والطبيعة وبين الجوهر. وينبغي أن تكون نقطة البداية في بحثنا لهذا الموضوع هي تحديد المقصود على وجه الدقة من تلك" المعادلة التي جمع فيها سبينوزا بين الله والطبيعة[1]" إذن الله هو نفسه الطبيعة عن سبينوزا وهما شيء واحد.

ويقول سبينوزا" بأن الطبيعة من حيث هي كل جوهر لا متناهي، إذ لا يمكن اعتبار الله كائنا لا متناهيا خارج الطبيعة ولا متعال عليها بل ينبغي أن يكون في الطبيعة[2]" بمعنى هنا لا يمكن تصور الله خارج عن الطبيعة بل هو موجود فيها وبعبارة أخرى ينبغي أن نؤمن بوحدة الوجود أي أن الله والطبيعة شيء واحد إلا أن سبينوزا يميز الاثنين و ويستخدم التعبيرين: الطبيعة الطابعة natur naturans والطبيعة المطبوعة natura naturata وهو يفرق بين هذين التعبيرين على النحو الآتي: " أعني **بالطبيعة الطابعة (المبدأ الفعال)** ما يوجد في ذاته، وما يتصور بذاته؛ أي ما للجوهر من صفات تعبر عن الإلهية الأزلية اللامتناهية، وبعبارة أخرى: أعني بها الله بقدر ما يعد علة حرة، ويعني هنا الطبيعة التي توجد الأشياء المنفصلة في العالم[3]".

والطبيعة المطبوعة (المبدأ المنفعل) كل ما يتلو من ضرورة طبيعة الله أو أية صفة من صفات الله، بقدر ما تعد أشياء توجد في الله، ولا يمكن أن توجد أو تتصور من الله ويسمي الأشياء المنفصلة في الوجود ويعني بها الأشياء الجزئية كما نعرفها وهي منفصلة عن بعض وليست دائمة[1]".

---

[1]: فؤاد زكريا، **سبينوزا**، (د.ط؛ القاهرة، النهضة العربية، 1963)، ص109.

[2]: إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (د.ط؛ دار الوفاء لدنياالطباعة والنشر، 2001)، ص201.

[3]: مرجع نفسه، نفس الصفحة.

[1]: إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، مصدر سابق، ص202.

ولكن ســبينوزا يميز في موضــع آخر بين الله والطبيعة بقوله: " إن الطبيعة الطابعة هي النظام الكلي للأشياء من حيث أنه ذو وجود ضروري وهو الله باعتباره سببا حرا"[2].

وأما الطبيعة المطبوعة فهي الأجزاء الموجودة في العالم كالأجسام المادية أو هي الله باعتباره نتيجة فليســت الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة متميزين إلا من الناحية المنطقية ولكنهما حقيقة واحدة ينظر إليها مر حيث أنها عملية ومرة أخرى من حيث أنها نتيجة لتلك العملية.

وبناءا عليه فالطبيعة الطابعة هي الكائن الذي نتصوره بكل وضوح وتمايز من خلال ذاته ودون حاجة إلى شيء آخر خارجه أي الله.

أما الطبيعة المطبوعة فتنقســم إلى قســمين عامة وخاصــة: العامة تتألف من كل الأحوال التي تعتمد على الله مباشرة.

والخاصة تتألف من كل الأشياء الفردية التي تتولد من حالة عامة.

وتتجســد الأحوال في الأفراد الموجودة في الطبيعة فهي تبدو منفصــلة عن بعضــها البعض ولكل منها مجاله الخاص إلا أنها عكس ذلك فهمي متصــــلة، وكل متوقف وجوده على الآخر.

يمثل ســبينوزا الجوهر بالله والطبيعة ويتصــور الكون أو الطبيعة ذات مظهرين فهي فعالة حيوية خالقة من جهة، وهي منفعلة مخلوقة من جهة أخرى والجانب المنفعل هو المادة وما تشــتمل عليه الطبيعة من غابات وغيرها وهذا كله من إنتاج الفعال وقوة خالقة في الكون وهي الجوهر خالق و أشياء مخلوقة وهي الأعراض أو العالم.

وقد جاء سبينوزا ببراهين عدة تدل على وجود الله:

البرهان الأول: واجب الوجود، في هذا البرهان بين ســبينوزا أن ماهية الله تتضــمن وجوده و أن الله ينبغي أن يكون موجودا بالضــــرورة، لأن الله هو الوجود كله، وهو أوجد ذاته بذاته،

[2]: مرجع نفسه، ص201.

وهو نفس الدليل الأنطولوجي عند ديكارت، الذي يجعل وجود الله مشـــتق من كونه جوهرا لا متناهيا مستندا في ذلك على قاعدتي الوضوح والتمايز التي يقوم عليهما اليقين الديكارتي.

البرهان الثاني: "**مبدأ عقلانية الطبيعة أو العلية**، وهو الطبيعة القائمة على العقل والضـرورة وأن كل شـيء موجود وراءه سـبب وعدم وجوده له سـبب"،وهذا السـبب يكون إما في طبيعة الشـــيء ذاته أو خارجه، و أن وجود الأشـــياء في العالم الخارجي لها ســـبب وهو الله وعدم وجودها يرجع إلى علة معينة،" بمعنى هنا أن الله هو العلة الفاعلة في وجود الأشـــياء وعدم وجودها أيضا"،[1] وعليه ليس هناك من يستطيع أن يمنع وجود الله لا في داخل الله ولا خارجه فالله إذن موجود بالضرورة.

البرهان الثالث: القدرة على الوجود، يســـتند هذا البرهان على المبدأ القائل بأن الشـــيء أي شـيء يزداد قدرة على الوجود بقدر ما يزداد قوة، لأن القدرة على الوجود قوة وعدم القدرة على الوجود عجز، وعليه فإذا المتناهي فإن اللامتناهي ينبغي أن يكون موجود بالضـــرورة، لأن اللامتناهي أقوى من المتناهي بصـــورة لا متناهية إذن فالله من حيث هو كائن لا متناهي واجب الوجود[2].

البرهان الرابع: هو نفسـه البرهان الثالث الذي وضـع بصـورة قبلية وفحواه أنه إذا كانت القدرة على الوجود قوة فإنه يلزم أنه بقدر ما تزداد الأشـــياء الواقعية فإنها بذلك القدر تزداد قوتها الذاتية على الوجود. وبناءا عليه فالله موجود بالضـــرورة[1] ونلاحظ هذا أن الدليل يســـتند إلى وجود شيء متناه في مقابل كائن كامل لا متناه.

ومن خلال هذه المجموعة من البراهين التي جاء بها سـبينوزا نسـتنتج بأن الله موجود ضـــروري وهو العلـة الفـاعلـة لجميع الموجودات، والله عنـد ســـبينوزا قـديم و أزلي. والله في رأي ســبينوزا هو العالم وجســمه النجوم والكواكب و الأشــجار والأزهار والمحيطات

[1]: ابراهيم مصطفى ابراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، مرجع سابق، ص202.

[2]: مرجع نفسه، ص203.

[1]: مرجع نفسه، ص203.

والجبال والسحب وغير ذلك، فسبينوزا ربط الطبيعة بالصفات الإلهية من خلال الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة و براهينه التي برهن بها على وجود الله وتعريفه للجوهر.

من خلال ما سيق ذكره نستنتج بأن الله يساوي الطبيعة عند سبينوزا وهذا هو شكل المذهب السبينوزي الواحدي. فالله هو الطبيعة عنده ،كما أن سبينوزا يقسم الكون إلى جوهر وعرض إلى قديم وحادث. ويجسد فكرة الله والطبيعة على أنها شيء واحد ولكن يقول أنه أخطئ فهمه في قوله"على كل حال لقد أخطئ فهمي أولئك الذين يقولون أن غرضي أن أبين أن الله والطبيعة شيء واحد ، والقائلون بهذا يفهمون من لفظ الطبيعة كتلة معينة من المادة المجسدة، إنني لا أقصد ذلك[2]" فهو هنا يرمي إلى أن لفظ الله هو الطبيعة بمعنى ليس الطبيعة جزء من الله بل هي الله وهذه الفكرة التي يتميز بها وتتميز بها فلسفته.

[2]: ول ديورانت، **قصة الفلسفة الحديثة من أفلاطون إلى جون ديوي**، المرجع السابق، ص217.

المبحث الثالث: موقف سبينوزا من العقيدتين اليهودية والمسيحية

المطلب الأول: موقفه من اليهودية

في نهاية القرن السابع عشر كانت هولندا ملاذ للمهرطقين ومن بينهم سبينوزا الذي يعتبر مهرطقا هو أيضا، ففي أمستردام رأى سبينوزا النور وكونته فيما بعد حركات التنوير وفلاسفته ومفكروه هناك قرأ جيوردانو برونو وديكارت وهوبز وتعلم اللاتينية ما سمح له بالإطلاع على فلاسفة العصور الوسطى ولاسيما الإكويني، كما تعرف على الأفلاطونيين المحدثين وقرأ بيكون أيضا، إلا أن ذلك لا يعني أن سبينوزا لم يتأثر بالمفكريين والمؤرخين اليهود، فبعد أن قرأ التوراة انتقل إلى التلموذ، واطلع على فلسفة ابن جبريل، لقد عاش في أوساط البرجوازية المستنيرة، وقد عومل سبينوزا "على أنه ملحد من الطبعة الجديدة، وهو الذي عاش حياته على حد السيف كما يقال تقيأته الطائفة اليهودية وأوقعت عليه الحرم"[1]واتهموه بالإلحاد* بينما سبينوزا لم يعبأ بهذا الطرد بل بادر إلى تغيير اسمه من صيغته اليهودية " باروخ" إلى "بندكتوس" اللاتيني وكانت هناك عدة أسباب لطرد سبينوزا من العقيدة اليهودية: وأولها أسباب دينية تتمثل في الاختلاف في المعتقدات اللاهوتية ويعتبر هذا سببا كافيا للطرد، وأيضا نزعة سبينوزا التحررية في آرائه السياسية الاجتماعية وهي نزعة خطرة على رجال الدين اليهود.

كذلك نزعة سبينوزا التحررية في آرائه السياسية والاجتماعية، وهي نزعة تعد خطرا على الاتجاه المحافظ بين رجال الدين اليهود، فسبينوزا كان ذو نزعة عالمية يحتقر فكرة الشعب المختار وقد اجتذبته قبل كل شيء الآراء الدينية المتحررة، وكانت آرائه السياسية والاقتصادية مضادة تماما لآراء قادة الطائفة اليهودية .كما أن سبينوزا لم يطرد فقط لعقائده

[1]: منذر شيباني، **سبينوزا واللاهوت**، مرجع سابق، ص19.

* **الإلحاد:** هو إنكار وجود الله، (جميل صليبا، معجم سابق)، ص119.

وآرائه فحسب بل طرد لأن أفكاره الاقتصادية والاجتماعية كانت تهدد المصالح التجارية لليهود.

إن العوامل التي تأثر بها سبينوزا جعلته يثور على العقائد الدينية لليهود ويبين حقيقتها كما أنه تأثر كثيرا من الكره الذي عانى منه في صغره مما جعل من بين أحلامه أن يزيل هذا الكره بقوله لأبيه " عندما أشّب سأحاول أن أجد وسيلة أضع بها حدا لكره الناس بعضهم لبعض[1]" لأنه منذ الصغر عانى من الظلم والتهميش مما جعله يعارض العقيدة اليهودية ويطرد من الكنس اليهودي وكان أهم نزاع بينه وبين اليهود هو" مسألة خلود العقل، والنزاع.

هذا هو أن الجو الروحي لليهودي الذي نشأ فيه سبينوزا كان معاديا للتفكير الفلسفي وكذلك أن الاعتقاد بمثل هذه الأفكار عبر عنه اليهود بأنه استهزاء بمعتقداتهم اليهودية"[2].

وكذلك تقديمه للعقل على الوحي واعتبار نصوص الكتاب المقدس ليست مطلقة وهذا ما جعل الطائفة اليهودية تثور عليه، وقد روى المؤرخ ديورانت قصة حرمان سبينوزا : فبعد أن خرج أعضاء الكنيسة إلى الظلام الذي ولّده انطفاء آخر جذوة من الضوء مشيرة إلى انطفاء الحياة الروحية للشخص المحروم، اتخذ المجلس المليٌ اليهودي قرار الحرمان بحق سبينوزا عقابا على هرطقته وبدعه و نورد هنا الكلمات والطريقة حيث يقول: بقرار الملائكة وحكم القديسين نحرم ونعلن وننبذ ونصب دعائنا على باروخ سبينوزا بموافقة الطائفة المقدسة كلها وبوجود الكتب المقدسة ذات الستة مئة وثلاثة عشر ناموسا المكتوبة بها نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة وليكن ملعونا ومغضوبا عليه ليلا ونهارا"[3].

هذه بعض مما عاشه سبينوزا أثناء حرمانه من الكنيس اليهودي فسبينوزا حرم من بلده وطائفته بسبب أفكاره المعادية لهم؛ لا ننكر أن سبينوزا عانى ظلما شديدا من قبلهم وهذا

---

[1]: علي فهمي خشيم، **الفلسفة والسلطة**، (ط1؛ ليبيا، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع، 1999)، ص.42

[2]: فؤاد زكريا، **سبينوزا**، مرجع سابق، ص.243

[3]: منذر شيباني، **سبينوزا واللاهوت**، مرجع سابق، ص19.

ما جعل سبينوزا يفكر في طائفة أخرى وعقيدة يعتنقها ويدافع عنها وهذه العقيدة هي المسيحية فكيف كان موقفه اتجاهها؟.

المطلب الثاني: موقفه من المسيحية

بعد ما حرُم ســـبينوزا من العقيدة اليهودية ونفيه من بلده والتجاءه لهولندا التي تعتبر ملجأ للطائفة اليهودية وعيش سـبينوزا هناك وسـط المسـيحيين بادر سـبينوزا بأول شـيء هو تغيير اسمه ليتفادى أي مشكلة مع الطائفة المسيحية، فلقد كان يعيش وسطهم محاولا معرفة عقيدتهم وديانتهم وبعد بحثه عليها توصـــل إلى أن الله عندهم غير الله في اليهودية، فالله عندهم موجود وخاضـــع لضـــرورة منطقية وعلمية وهذا ما جعل ســـبينوزا أن يميل لها لأنها وبالإضـــافة لهذا تحتوي هذه العقيدة على تعاليم إنســـانية عالية تهتم بالإنســـان وتعطيه حقه خاصـــة اهتمامها بالجانب الروحي له، كما أن المسـيحية تهتم بالإيمان وتجسـده على أرض الواقع عكس اليهودية التي تجسـده عن طريق مصـالح شـخصـية ومنافع دنيوية وتطبق على هذا الأسـاس." فتعاليم موسـى في الوصـايا العشـر كانت في رأيه مكيفة تبعا لأذهان اليهود، وترمي إلى تحقيق رفاه مملكتهم فحســـب، أي أن موســـى كان يتناول في تشـــريعه الجانب الظاهر من سـلوك الإنسـان، أما المسـيح فقد تناولت تعاليمه حياة الإنسـان الباطنية، وكان الجزاء عنده روحيا أكثر من دنويا[1]" بمعنى هذا أن المســـيحية لم تكترث بالمصـــالح الدنيوية والذي جعل سـبينوزا ينحاز إلى المسـيحية هو طريقة الاتصـال بين الله و أنبياءه " فوجد أنه لا يوجد اتصـال مباشر بين ذهن الإله وذهن أي آخر سوى المسيح"[2] فالاتصـال في اليهودية بين الله وموســى كان يتم عن طريق التخاطب، والمســيحية عن طريق الذهن والفكر، فالأول يحتاج لتفسير والثاني لا يحتاج إلى تفسير، وهذا ما ميز العقيدة المسيحية عند سبينوزا حتى أثار بها واعتبر نفسه مسيحيا.

فالمسـيحية لا تهتم بالمصـالح الدنيوية ولا تبرر أي شـيء لمنفعة خاصـة واليهودية تهتم بالأمور الدنيوية وتميل للأهواء و المنافع وبالرغم من إعجاب سـبينوزا بالمسـيحية إلا أنه

[1]: فؤاد زكريا، **سبينوزا**، مرجع سابق، ص180.

[2]: مرجع نفسه، نفس الصفحة.

لم يعتنقها، لأنه وجد فيها خطورة لا تقل عن الديانة اليهودية وفي قوله" لقد دهشت مرارا من رؤية أناس يفتخرون بإيمانهم بالدين المسيحي، أي يؤمنون بالحب والسعادة و السلام والعفة والإخلاص لجميع الناس، ويتنازعون مع ذلك بحب شديد، ويظهرون أشد أنواع الحقد بحيث يظهر إيمانهم في عدائهم، لا في ممارستهم الفضيلة[1]" بمعنى هنا أن الذي يعتنق المسيحية يجعلها وسيلة للسيطرة والعداء على بعضهم البعض ومظهر الحب والسعادة مظهر خارجي فقط لا يتجسد عندهم في الواقع وبهذا تكون المسيحية ابتعدت عن تعاليمها المقدسة وأصبح فيها الخوف والصراع.

إن سبينوزا بعد تحليله للمسيحية ومقارنتها مع اليهودية تضح له أنهما لا يختلفان من ناحية تجسيد التعاليم لكل منهما في أرض الواقع ومعتنقيها لا يطبقون التعاليم المنصوصة في الديانة المسيحية، والفرق الذي بينهما يكمن في تعاليم الأنبياء في كل ديانة. فإذا كان موسى في العقيدة يهتم بالجانب الظاهري للإنسان أي سلوكه، فالمسيح يهتم بالجانب الباطني له وهذا ما جعل سبينوزا يعجب به ويوضح هذا في قوله"إنّ الله كشف عن نفسه للحواريين من خلال روح المسيح كما كشف الله عن نفسه من قبل بصوت خارجي يمكننا أن نسميه صوت المسيح، وهو صوت الله كالصوت الذي سمعه موسى من قبل كما أنّ لله حكمة تفوق حكمة الإنسان وقد تجسدت في المسيح، وأن المسيح أصبح طريقا للخلاص"[2] وهذا حسب رأي سبينوزا الذي يجسد روح المسيح في الله وأن الديانة المسيحية تعتبر طريقا للخلاص من الذنوب والمآثم.

من خلال ما سبق ذكره نستنتج بأن سبينوزا فضّل المسيحية على اليهودية من خلال مفهومهم لله وتعاليمهم المقدسة التي تهتم بالجانب الروحي والباطني للإنسان فهي تحمي البشر وتحقق الأمن والسلام وهذا الرأي راجع بسبب ما شهده من ظلم في العقيدة اليهودية وفي المسيحية وجد الاستقرار إلا أنه لم يعتنقها.

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص.113

[2]: مصدر نفسه، ص129.

الفصل الثاني: السياسة في فلسفة سبينوزا

- المبحث الأول: من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني
- المبحث الثاني: الممارسة السياسية في الدولة
- المبحث الثالث: الحرية في مقابل النظام الديمقراطي

تمهيد:

إن السياسة في أكثر معانيها انتشارا هي علم القوة وتنظيمها في المجتمعات، أما الفلسفة فهي تنظيم مستمر لعملية واكتشاف المبادئ المنظمة للتطبيق العملي.

وللسياسة مكانة هامة في حياة المجتمعات فهي تنظم أحكام الدولة والأفراد والمجتمعات.

ويعتبر سبينوزا من بين الفلاسفة الذين اهتموا بمجال السياسة من خلال دعوته للنظام الديمقراطي، إذا كيف طبق سبينوزا هذا النظام في الدولة؟

المبحث الأول: من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني

نلمس التصور الحديث للحق الطبيعي لدى" هوبز" و"سبينوزا" وبمعنى ما لدى روسو ويقوم على تصـــور مغاير للطبيعة والحالة الاجتماعية بانتقال من ميتافيزيقا الجوهر إلى أنطولوجيا القوة فالقانون الطبيعي، من هذا المنظور ليس هو ما يستطيعه الشيء ومن ثم فإن حالة الطبيعة هي حالة ما قبل اجتماعية يتماهى فيها الحق مع القوة، كما أن الحق ســـابق على الواجب والبشـــر متســـاوون في حقوقهم يصـــوغون قوانينهم بمحض إرادتهم الحرة وليس وفق معرفة عقلية سابقة، ومن خلال هذا كيف كانت طبيعة المجتمع عند سبينوزا؟

ويعرف" توماس هوبز (1588(8/1679م)* " الحق الطبيعي قائلا: " أن الحق الطبيعي بمقتضى الطبيعة هو حرية كل إنسان في أن يستخدم قوته وفق ما يشاء هو نفسه من أجل الحفاظ على طبيعته".[1]

فهوبز هنا يدعو الفرد أن يســـتخدم القوة من أجل الحفاظ على حقه الطبيعي أي حفاظه على ما وفرته له الطبيعة من أجل البقاء.

ويضيف أيضا قائلا بأن" قانون الطبيعة هو مبدأ أو قاعدة عامة يجدها العقل، وبها يمنع الإنســـان من فعل ما هو مدمر لحياته أو ما يقضـــي على وســـائل الحفاظ عليها ومن إهمال ما يظن أنه يحافظ عليها[2]" وما نفهمه من هنا أن "هوبز" يصـــور حالة الحق الطبيعي على أنها وضع يغيب فيه القانون ويكون فيه الفرد خاضعا لغرائزه وشهواته و الأنانية وحب الذات مما يجعل الإنسان ذئبا لأخيه الإنسان وحالة الطبيعة عند" هوبز" هي حرب الكل ضد

* **هوبز(1588/1679م):** فيلسوف إنجليزي، ذو نزعة مادية أحد مؤسسي فلسفة السياسة الحديثة، يرتبط مذهبه الطبيعي الحسي بالمذهب الطبيعي لعصر النهضة الإيطالية ويؤمن بحق حكم الدولة هو وحده الذي يمكن أن يضمن القانون، تأثر بالأفكار العلمية المعاصرة، نشر كتابه الأصول الفلسفية الخاصة بالحكومة والمجتمع. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة).

[1]: توماس هوبز، **الليفياثان الأصول الطبيعية والسياسة لسلطة الدولة**، (ط1؛ أبو ظبي: دار الفارابي، (1432هـ/2011م) ص138.

[2]: توماس هوبز، **اليفياثان الأصول الطبيعية والسياسة**، مرجع سابق، ص376.

الكل كما يرى أن الطبيعة الإنسانية شريرة، ويجب تأسيس الحق الطبيعي في حالة الاجتماع على القوة.

أما "سبينوزا" عكس "هوبز" "ويعرف الحق الطبيعي بقوله" أعني بالحق الطبيعي وبالتنظيم الطبيعي مجرد القواعد التي ندرك بها أن كل موجود يتحدد وجوده وسلوكه حتميا على نحو معين"[1]. فالحق الطبيعي عند سبينوزا قائم على قانون الطبيعة العام الذي يخضع له كل الكائنات وهو مبدأ الحفاظ على الذات وكل فرد له طبيعة قواعد يتميز بها وقدم لنا سبينوزا مثال على هذا مثل الأسماك التي يتحتم عليها بحكم طبيعتها أن تسبح وهذا وفق قانون طبيعي مطلق على كل من يدخل تحت سيطرة الطبيعة فهو يمتد بقدر امتداد قدرتها، لأن قدرة الطبيعة هي قدرة الله نفسه الذي له حق مطلق على كل شيء ونفهم من هنا أن أنه لا على وضعه فهو يمارس حقا مطلقا وفق ما تمليه عليه طبيعته.

والحق الطبيعي واحد عند جميع الأفراد لا يختلف فيه شخص عن آخر وتتحكم الرغبة والقدرة في هذا الميدان لا العقل، والطبيعة تتسع لكل شيء لا الإنسان وحده و لكن إذا كان المبدأ ذاته واحدا؛ أي إذا كان الأفراد جميعا يسري عليهم المبدأ القائل" إن حق كل فرد يمتد بقدر ما تمتد قوته فلا شك في أن نصيب كل فرد من هذا الحق يتفاوت تبعا لما لديه بالفعل من قوة وهكذا تكون الغلبة في هذه الحياة للقوي[2]" فالإنسان بطبيعته الفطرية يحب القوة ليضمن وجوده وبقائه لأنه كل فرد يخاف من الآخر كما يرى سبينوزا " أن الإنسان إله الإنسان[3]"عكس" هوبز" الذي رأى الإنسان عدو أخيه، إذا الحق الطبيعي هو الذي يضمن فيه الفرد حقوقه التي أعطته له الطبيعة منذ ولادته وفيها يعيش الإنسان حرا طليقا لا تحكمه قواعد ولا قوانين.

وبما أن الحق الطبيعي لكل إنسان يتحدد بالرغبة والقدرة لا العقل السليم، ولأن ليس جميع الناس أن تتفق أفعالهم مع قوانين العقل لأنهم ولدوا في حالة من الجهل المطبق

---

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة** ، مصدر سابق، ص376.

[2]: فؤاد زكريا، **سبينوزا**، (د.ط؛ القاهرة، دار النهضة العربية، 1963)، ص235.

[3]: باروخ سبينوزا، **علم الأخلاق**، مصدر سابق، ص235.

وقبل معرفتهم النموذج الصحيح للحياة والأخلاق الفاضلة ويقصد بالنموذج الصحيح بالعيش وفق قوانين العقل السليم إلا أنهم يجدون أنفسهم قد فات الأوان وقد خضعوا للعيش بدافع الشهوة، فالحالة الطبيعية حرمتهم من القدرة الفعلية على الحياة وفقا للعقل السليم"[1] صحيح أن الإنسان في حالة الطبيعة يفقد العيش وفق قوانين العقل إلا أنه هذا كان عن جهلا منه فالعقل هو الذي ينظم حياة الفرد والمجتمعات.

ويقول أيضا "وهم لم يكونوا ملزومين على العيش وفق أوامر العقل، وكذلك فإن كل فرد يعتقد بأن كل ما في الواقع تحت سيطرة الطبيعة نفعا له، سواء كان في ذلك مدفوعا بالعقل السليم أو بقوة انفعالاته يحق له بأن يشتهيه طبقا لحق طبيعي مطلق، وأن يستولي عليه بأية وسيلة سواء بالقوة أو بالمخادعة أم بالصلوات وبأية وسيلة أخرى أيسر من غيرها، وبالتالي يحق له أن يعد من يمنعه من تحقيق غرضه عدوا له"[2] هنا يصور لنا سبينوزا حالة من الأنانية للإنسان من خلال أن كل ما يمنعه من تحقيق غرضه يعده عدوا له،بمعنى أنه يجب أن يسير الإنسان وفق ما تقتضيه حاجته ومنفعته الخاصة سواء بالعقل أو بالشهوة.

انطلاقا مما سبق إذن في الحالة الطبيعية خالية من كل مظاهر التمدن فالإنسان يعيش وفقا لمبدأ الشهوة والغريزة و اللاعقل فهي حالة تسيطر فيها الغرائز والشهوات في تصرفات الإنسان فكل فرد يعيش وفق ما تمليه عليه غرائزه، وليس وفق ما يمليه عليه العقل مما سيؤدي إلى العنف والصراع وهذه الأخيرة تتسم بالقوة ولا تعترف إلا بها ومن له القوة يحق له أن يحقق مصالحه ،وهنا الحق مطلق ومن يفعل فعلا وفق قوانين الطبيعة فهو يمارس حقه لأنه في حالة الطبيعة لا يخضع لقوانين محددة ولا عادات ولا أعراف فالإنسان يسعى دائما للحفاظ على ذاته، والحق الطبيعي هو خارج عن إرادة المجتمع والفرد لأنه شامل وفوق الجميع وهو سلطة إلهية.

---

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص.370

[2]: مصدر نفسه، نفس الصفحة.

"هوبز "وسبينوزا" يتفقان و يدعمان الحق الطبيعي بمفهوم الحرية الإنسانية، إلا أنهما يختلفان في حرية التصـــرف من أجل الحفاظ على البقاء، ويرى "هوبز" أن الحرية هي استخدام الأفراد لكل وسائل القوة أما سبينوزا الحرية عنده هي لا تمثل استخدام القوة بل القوة في حد ذاتها.

ويقول سبينوزا في هذا الصدد " أن الحق والتنظيم الطبيعيين الذين ينشأ فيهما جميع الناس ويعيشـــون بموجبهم طوال الجزء الأكبر من حياتهم،لا يحظران إلا ما يرغبه فيه أو ما لا يستطيعه أحد فهما لا يمنعان النزوع ولا الكراهية ولا الغضب ولا الخداع ولا أي شيء تدفع إليه الشهوة[1]" بمعنى أن الحق الطبيعي حالة يعيش فيها الإنسان ضامنة لحريته.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن الإنسان في الحالة الطبيعية يعيش وفقا لأهوائه وشهواته إلا أن سبينوزا لا يحبذ هذا أبدا ويرى بأن هذا الوضع الطبيعي سيؤول الإنسان إلى العيش في حالة صراع، فمن الأفضل عنده أن يحتكم الفرد بالعقل ويعيش وفق قوانينه، لأنه بالعقل يحفظ حقوقه وواجباته اتجاه الآخرين، ومن هنا يجب الانتقال من مجتمع طبيعي تسوده اللاعقلانية والانفعالات والشهوة هي التي تسيره، إلى مجتمع مدني يكون فيه العقل هو الوسيلة للارتقاء والتعالي ليستطيع الإنسان أن يعيش مع بني جنسه، إذن العقل هو الوسيلة لتأسيس مجتمع مدني سياسي.

يقر" سبينوزا " " بأن الناس يعيشون قبل نشأة المجتمع في فوضى بغير قانون أو تنظيم اجتماعي ولم يكن لديهم مفهوم عن الصـــواب والخطأ أو العدل والظلم، وكانت القوة عندهم هي الحق[2]"، ولا يمكن لشـــيء في الحالة الطبيعية أن يســـمى خيرا أو شـــرا لأن كل إنسان في تلك الحالة لا ينظر إلا إلى مصلحته."[1] وما نفهمه من هنا أن المجتمع المدني هو

---

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص369.

[2] زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، (د.ط؛ القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936)، ص170.

[1]: زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، مرجع سابق، ص170.

نقطة تحول لدى البشـرية وتغير في نمط عيشـهم من الشـهوة إلى العقل ومن الفوضـى إلى النظام.

وبقول سـبينوزا" ومن ثم يظهر لنا بوضـوح تام أنه لكي يعيش الناس في أمان وعلى أفضـل نحو ممكن، كان لزاما عليهم أن يسـعوا إلى التوحد في نظام واحد، وكان من نتيجة ذلك أن الحق الذي كان لدى كل منهم، بحكم الطبيعة، على الأشياء جميعا أصبح ينتمي إلى الجماعة، ولم تعد تتحكم فيه قوته أو شـهوته بل قوة الجميع وإرادتهم[2]" أي أن المجتمع أصبح كتلة واحدة والعقل هو الذي يجمعهم وينظمهم، كما أن سـبينوزا أراد أن يكبح الشـهوة، لأن الشهوة تسبب الضرر للآخرين وتؤثر على معاملة الآخرين لبعضهم البعض.

النظـام الاجتمـاعي،والخطر هو الـذي ولـد فيهم الاجتمـاع، والاجتمـاع يغـذي ويقوي الغرائز الاجتماعية شـيئا فشـيئا" فلا يولد الإنسـان لكي يكون مواطنا (أي فردا من مجتمع) ولكنـه يجـب أن يراض على ذلك"، بمعنى هنـا يجـب تدريبـه وتعويده على الاجتمـاع والحيـاة الاجتماعية"[3] أي أن الإنسـان لا يسـتطيع العيش لوحده بل يحب العيش مع الجماعة ليضـمن حقوقه ويغذي غرائزه الاجتماعية مثل أنه يحب تكوين أسرة التي هي النواة الأولى للمجتمع.

يقر" سـبينوزا" بأن الحالـة المدنيـة لا تتعارض مع الحالـة الطبيعيـة بل هي امتداد طبيعي لها، كما أن في الحالة المدنية يجب تحكيم العقل لا الشـهوة والغرائز الطبيعية للفرد ويقول في هذا الصـدد" على أنه يظل من الصـحيح دون شـك، أن الأنفع كثيرا للناس أن يعيشـوا طبق قوانين عقولهم ومعاييرهم اليقينية لأنها كما قلنا لا تتجه إلا إلى تحقيق ما فيه نفع حقيقي للبشر"[1] فالعقل يجلب المنفعة للإنسان ويجعله يعيش حياة منظمة.

وما يمكن قوله هنا أن سـبينوزا يمجد كثيرا دور العقل في تحقيقه للمنفعة الخاصـة للأفراد مع المنفعة العامة للمجتمع السياسـي وهو لا يدعو الأفراد إلى تغيير طبيعتهم البشرية

---

[2]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص371.

[3]: زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، مرجع سابق، ص172.

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص370.

التي ولدوا مفطورين عليها، كما أنه في الحالة المدنية يجب تنظيم جماعات سياسية قائمة على التآلف بين أفراد المجتمع السياسي لحفظ أمنهم من خلال قوانين عقلية ويقول" سبينوزا" في ذلك ""كان لزاما عليهم أن يتفقوا فيما بينهم، عن طريق تنظيم وتعاهد حاسم، على إخضاع كل شيء لتوجيهات العقل وحده الذي لا يستطيع أحد معارضته حتى لا يبدو فاقدا للحس السليم[2]". وما نفهمه من هذا أن الذي ينظم المجتمع المدني هو قانون العقل لا العاطفة. ويقول سبينوزا " الناس يتقون بطبعهم بصورة أفضل عندما يعيشون على مقتضى العقل"[3].

ويعني هنا أن العقل هو الأداة الفاعلة لبناء مجتمع سياسي يمتلك حقوقا وعليه واجبات لأن العقل لديه القدرة على توجيه رغبات وإرادات المجتمع.

انطلاقا مما سبق نستنتج بأن العيش وفق العقل يحقق السلام والأمن للجميع، لأن الشهوة والعاطفة تسبب الضرر والفوضى وقيام الكراهية بين البشر، ولأن تفكير البشر مختلف من شخص إلى آخر يدعو سبينوزا إلى تكوين جماعة سياسية في ظل نظام سياسي محكم ينظم المجتمع ويحفظ لهم حقوقهم وواجباتهم، والعقل هو الوسيلة لتحقيق ذلك عكس ما كان يسود في الحالة الطبيعية.

المبحث الثاني: الممارسة السياسية في الدولة

لقد عبّر سبينوزا من خلال فلسفته السياسية عن كيفية ممارسة السياسة في الدولة لكي يحفظ استمرارية بقاء الشعوب والعيش في حرية وأمان، إذا كيف مارس سبينوزا عمله السياسي؟

[2]: مصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3]: باروخ سبينوزا، **علم الأخلاق**، مصدر سابق، ص262.

يقر سبينوزا من خلال دراسته للحق الطبيعي والحق السياسي الذي يعتبرهما يشكلان جسم واحد للدولة، كما أنهما وجهان لعملة واحدة وكلاهما أساسيان لقيام دولة ديمقراطية تقوم على الحرية وهذا بفضل تشكيل جماعات سياسية، ولكي تقوم الدولة على أسس متينة يجب أن يتوفر شـــرط وهو أن تكون القرارات صـــادرة عن طريق الجماعة وليس فرد واحد كما أنه يجب توفر الســلام والأمن في الدولة ويقول " ليسـت قوة السـلطة بمقدار ما تثيره من خوف، وإلا كان رعايا الطاغية هم الذين يملكون أقوى السلطة لأنه يخشاهم إلى أبعد حد[1]" وما نفهمه من هنا أن" سبينوزا" لا يحبذ ممارسة السلطة عن طريق استبداد الحاكم للمحكومين وتخويفهم وعدم شـــعورهم بالأمن، بل يجب حمايتهم والتوفير لهم بممارســـة حقوقهم الطبيعية ولا يمكن اســتعبادهم، فلكل فرد الحق في ممارســة حقه الطبيعي، وكما ذكرنا من قبل بأن ســبينوزا لا ينفي وجود الحقوق الطبيعية للإنســان في ظل الدولة ويعتبرها حقوق مفروضــة ومن حق كل فرد ممارستها لأنه فطر عليها، ولكن هنا إذا لم يكن هناك خوف بين الحاكم والمحكوم.

يحدث انفلات عام لجميع أفراد المجتمع، والخوف يجب أن يكون وارد وينطبق هذا الكلام على تأدية الواجبات لجميع الأفراد اتجاه الدولة باحترام القوانين.

والدولة التي في نظر "ســبينوزا" هي التي تســتمد قوانينها الطبيعية من واقع الإنســان وهي ملزومة باحترام إرادة الشـــعب والوفاء بالتعاهد وليس بإخضـــاعهم لها ومنعها لإرادة الشعب.

ويلح ســبينوزا أنه من الضــروري عند اتخاذ القرارات الســياســية التي تخص الشــعب يجب أن ترجع إلى الجماعة أو فرد من الأفراد ويشـــترط أن يتخلى فرد من الأفراد عن حقه الطبيعي في أن يسلك وفق ما يريد ويقول في ذلك" ما كانوا ليعيشوا في سلام لو لم يتخل كل فرد عن حقه في أن يســلك وفقا لما يمليه عليه قراره الشـــخصـــي"[1]، ولكن هذا لا يعني أن يتحول الأفراد إلى آلات صـــماء، لأن هؤلاء يحظون بحرية تامة في تفكيرهم و أحكامهم

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص.385

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص437.

معتمدين في ذلك على العقل وحده لا على الخداع أو الحقد، فهذا هو قانون الطبيعة الذي يترتب عنه أن الحاكم لا يستطيع استخدام القوة أو العنف ضد المواطنين، فلكل شخص حريته الخاصة ولا يمكن للدولة التحكم فيها كما أنها لا يمكنها تطويعه واستعباده، ولكل شخص خصوصيته وطبيعته التي تميزه عن غيره.

ويقول "سبينوزا" "أن أحدا لا يستطيع تفويض كل ما يملك إلى السلطة العليا، وأن هذا التفويض ليس ضروريا[2]" بمعنى هنا أن الفرد حر ويمتع بحقوق وليس من الضروري أن تتدخل الدولة في كل ما يملك ويمكنه الحفاظ على خصوصيته الشخصية، فيجب أن يحافظ على حقوق الأفراد وتركه أن يتصرف وفق إرادته.

وبما أن العمل السياسي يقوم على التعارض والصراع وخاصة بأن يتمتع الأفراد بكامل حريتهم في التفكير والتعبير داخل الدولة ولا يمكن للقانون سلبهم ذلك، وهذا ما أول إلى طرح إشكالية محافظة الدولة على الأمن والاستقرار داخل نطاقها إذا كيف ذلك كان ذلك؟ وما غرضها؟

لقد وضح سبينوزا ذلك من خلال ذكره للغرض الأساسي للدولة ألا وهو ليس الحكم والإكراه والتخويف والإجبار على الطاعة ولكن عكس ذلك هو الصحيح" ويكمن غرض وغاية الدولة الأسمى في تحرير كل فرد من الخوف، وتحقيق أمنه وطمأنينته وتأكيد حقه الطبيعي في الوجود والعمل بما لا يضره ولا يضر الآخرين".[1] وهذا يعني تحقيق حريته في نطاق الدولة مع حفظ أمنه وسلامته وتأمين حقوقه.

كما وأن تتجسد سيادة الدولة في تلك القوة العظمى التي تكفي لتحقيق السيطرة على الأفراد سواء بالأمل أو الرهبة، وتتجسد هذه القوة في اتحاد قوى الأفراد ويقول سسبينوزا " أن الغاية القصوى من تأسيس الدولة ليست السيادة أو إرهاب الناس أو جعلهم يقعون تحت تأثير

[2]: مصدر نفسه، ص.383

[1]: علي عبد المعطى محمد، **تيارات فلسفية حديثة**، (د.ط؛ الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1984) ج1، ص214.

الآخرين، بل هي تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش كل فرد في أمان الإمكان"[2]، ويطبق هذا عندما تكون الدولة هي المؤسسة الاجتماعية الإنسانية حيث يشعر الأفراد بالحرية والسلام وهذا ما يفع على كاهل الدولة ". فالدولة التي تمنح الحريات لرعاياها تستطيع أن تكون أكثر اطمئنان على أمنها".[3]

وبما أن الدولة تضمن الحرية فيجب على المواطن الوفاء والانقياد لها بكل إخلاص، و لكي تضمن الدولة ديمومتها وتحافظ على استقرارها وضع سبينوزا آليات لتحقيق ذلك تتمثل في أنه من طبع الإنسان أن يميل إلى المنفعة الخاصة، ويفي الفرد بوعوده إلا لتحقيق منفعة خاصة كانت أو عامة ويقول سبينوزا في هذا الصدد " ومن ثم يكون من الغباء أن يطلب الإنسان من الآخر أن يلتزم بعقد إلى الأبد، دون أن يحاول في الوقت نفسه أن يبين له أنه فسخ العقد يضر من يفسخه أكثر مما ينفعه وهذه نقطة مهمة للغاية في تأسيس الدولة"[4].

بمعنى لكي يحافظ الشعب على الدولة يجب الحفاظ على ولائهم لها، وهذا يعد أكبر دعامة للدولة ولا يفي الأفراد بوعودهم للدولة إلا لمصلحة خاصة كما ذكرنا سابقا وهي الخوف من شر يضره أو طمعا في خيرا له ينفعه ويوضح سبينوزا هذا بقوله"و لا يلتزم باحترام العقد إلا طمعا في خير أعظم أو خوفا من شر أكبر"[1] وما نفهمه من هنا أن الفرد يقوم بدور تبادل المصالح بينه وبين الدولة ولا يفي بوعده إلا لمنفعته أو خوفا من العقاب في حالة الخروج عن طاعتها.

ومن ضمن الآليات أيضا هو يجب تحويل القدرات الفردية إلى قدرة واحدة جماعية من أجل تحقيق وضمان اجتماعي وهذا لخوف الإنسان من ضياع حقوقه في الحالة الطبيعية

---

[2]: سبينوزا ، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص437.

[3]: ول ديورانت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، تر: د. فتح الله محمد المشعشع، (ط6؛ بيروت: مكتبة المعارف، 1988م)، ص 240.

[4]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص371.

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص371.

فيجب أن يجتمع مع بني جنســه لأنه لا يســتطيع العيش بمفرده لأن الجماعة تزيد من قوته وتحفظ له حقوقه فهو مفطور على هذا.

"وأعطى ســبينوزا على الحكم الفردي بالمجتمع اليهودي الذي مر بهذه المراحل التاريخية التي كان هناك احتكار السلطة للشعب اليهودي الذي طبق فيه حكم فاسد جعل الفرد فيه يصبح عبدا، وهذا ما جعل ســبينوزا يتجه إلى البحث عن حكم يحفظ كرامة المواطن ويعطيه حقوقه المســتحقة" ، وذلك من خلال دعوته للنظام الديمقراطي أو الديمقراطية"[2] وهو نظام يضــمن حرية الفرد ويجعله يشارك في الحكم وهذا راجع لما عاشه سبينوزا في طائفته من استبداد في ظل النظام الثيوقراطي.

ومن الممارسات السياسية للدولة أيضا أنها تبدل الخوف والريبة التي كانت سائدة في الحالة الطبيعية إلى أمل واطمئنان وحرية وســلام، وهذا كله يتجســد في الحالة المدنية مع ضــمان الحقوق الطبيعية، إلا أنه يجب أن يكون هناك مقابل لهذه الحقوق وهي الواجبات تخدم الدولة فلا يمكن أن توفر أي دولة حقوق بلا واجبات واجبة على الفرد لخدمة الدولة.

انطلاقا مما سبق ذكره نستنتج بأن سبينوزا من خلال عمله السياسي وممارسته له يدعو بأن يعيش الأفراد وفق العقل لكي يتحقق الســلام والأمن للجميع، فالشــهوة في الحالة الطبيعية تسبب الضرر والفوضى وقيام العنف والكراهية فيما بينهم، وللتخلص من هذا يجب توحيد القدرات الفردية في جماعة سياسية تكون في ظل نظام سياســي محكم ينظم الأفراد ويحكمهم جميعا والعقل هو الوسيلة لتحقيق ذلك، وفعلا الشــهوة تثير الفوضــى وغياب العقل يجعل الإنسان يتصرف بلا وعي مما يؤدي الصراع بين أفراد الدولة والقوانين التي تنصها الدولة تنظم المجتمع ويتحقق الهدوء.

[2]: جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس الدين والأخلاق والسياسة**، (ط1؛ المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2017)، ص176.

المبحث الثالث: الحرية في مقابل النظام الديمقراطي

تميز المجتمع المدني بميزة بالأخلاق الفاضـــلة، بحيث أصـــبح الفرد الواحد يتمتع بحقوقه الكاملة الذي منحته له الطبيعة مع التنظيم الســياســي لهذه الحقوق من خلال إعمال العقل الذي عن طريقه أصبح المجتمع في نطاق سياسي منظم وهو الديمقراطية*.

وســبينوزا يقر بأن الديمقراطية ليســت نظاما للحكم فقط، بل هي النظام الأمثل وهذا راجع لســـبب وجيه عنده ألا وهو أن الحرية تتحقق في النظام الديمقراطي، ويتكون المجتمع الإنساني عند سبينوزا في مزج الحق الطبيعي مع الحق السياسي، بشرط أن يتيح الفرد للدولة كل ما لديه من قوة ليتحد مع بني جنســـه ليصـــبح هذا المجتمع يمتلك كل الحقوق الطبيعية المطلقة على فعل كل شـــيء وهذا إما مطاوعة وحبا أو خوفا من العقاب الشـــديد للســـلطة الحاكمة في هذا المجتمع ويســـمى نظام هذا المجتمع بنظام الديمقراطية، ويقول ســـبينوزا في هذا " فالديمقراطية هي إتحاد الناس في جماعة لها حق مطلق على كل ما في قدرتها[1]" وهذا يعني تمتع الأفراد بحقهم الطبيعي المطلق في نطاق قانوني مع الجماعة مع الخضوع للسلطة الحاكمة من خلال تأدية الواجبات نحوها، وعلى الحاكم الســـهر على مصـــلحة الأفراد العامة وتكون أحكامه الصـــادرة تســـير وفق العقل وبعث الطمأنينة في قلوبهم لا بالعنف والترهيب وهذا أكثر ما يميز النظام الديمقراطي وهو حرية الأفراد وتكمن غايته في تخليص الناس من سيطرة الشهوة وإبقائهم على حدود العقل في عيشهم لضمان أمنهم وسلامتهم وحريتهم.

كما أنه يتعين على الحاكم في هذا النظام ألا يكون طاغية مســـتبد بل حاكم يحترم أفراد مجتمعه في ظل قانون يحكمهم ليحميهم ويرعاهم ويكون صـــادرا من أوامر العقل، لأن الدولة التي يكون فيها حاكما يسـيطر على الأذهان يعتبر أنه يمارس العنف على شـعبه كما

---

* **الديمقراطية:** لفظ مؤلف من لفظين يونانين هما ديموس ومعناه الشعب، وكراتوس ومعناه السيلدة، فمعنى الديمقراطية إذن هي سيادة الشعب وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين لا لفرد أو لطبقة واحدة (بنظر: جميل صليبا، ج1، ص569، 570).

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص373.

كان في النظام الملكي الذي مارس عبودية الأذهان، وهذا الأخير مستبعد في نظام الحكم الديمقراطي لأن الشعب فيه كله يشارك في السلطة الجماعية ويسير وفق العقل وإذا لم يطبق الحاكم هذا يسلب منه الحكم.

يعترف سبينوزا بأن الإنسان الحر هو الذي يختار العيش وفاقا مع العقل وحده لا الشهوة والدولة في النظام الديمقراطي تراعي مصلحة الشعب كله، ومن يطع أمر حاكمه يعتبر مواطنا وليس عبدا له حقوق وعليه واجبا، فالدولة التي تعتمد على العقل في تسيير أحكامها يتمتع فيها أفرادها بحرية تامة، ويقول سبينوزا " أظن أنني بينت حتى الآن بما فيه الكفاية مبادئ الحكم الديمقراطي الذي فضلته على أنظمة الحكم الأخرى، لأنه يبدو أقربها إلى الطبيعة أقلها بعدا عن الحرية التي تقرها الطبيعة للأفراد ففي النظام الديمقراطي لا يفوض أي فرد حقه الطبيعي إلى فرد آخر بحيث يستشار بعد ذلك في شيء بل يفوضه إلى الغالبية العظمى من المجتمع الذي يؤلف هو ذاته منه"[1] ما نفهمه من هذا أن النظام الديمقراطي قريب من الحالة الطبيعية التي يمتع فيها الأفراد بالحرية إلا أن في هذا النظام العقل هو الآمر لا الشهوة.

ومن خلال هذا القول فإن النظام الديمقراطي يخدم الشعب ويكفل له حقوقه كما هو الحال في حالة الطبيعة، ويكون فيه أفراد المجتمع الواحد متساويين في حقوقهم، وتسعى الدولة أيضا إلى تحقيق المصلحة العامة لجميع أفراد المجتمع، كما أنه تتحقق الحرية في الدولة من خلاله وهذا ما جعل سبينوزا يتخذ موقف المؤيد لهذا النظام الديمقراطي ويعطيه منزلة أفضل نظام حاكم للدولة كما ينادي سبينوزا أيضا بالديمقراطية ويعتبرها من أكثر تنظيمات المجتمع عقلانية، وأفضل الحكومات"[1] لأنها تهتم بالمجتمع وتعطيه قدر كبير من الحرية والأمان وهولندا بالنسبة لسبينوزا هي المثال الذي يحتذى به وهذا راجع لما عاشه في مدينة أمستردام الذي احتضنه واحتضن أسرته اللاجئة وكان يطبق فيها النظام الديمقراطي ، وتتمتع بالحرية فالكل يستطيع العيش فيها من مختلف الأجناس" وتتحقق ممارسة السلطة

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص376.

[1]: ابراهيم مصطفي إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (د.ط؛ الإسكندرية دار الوفاء، 2001)، ص209.

الديمقراطية بما يجعل الجميع يطيعون أنفســـهم من دون أن يطيع أحدهم الآخر؛ ذلك لأنهم سواسية ولا أحد يكون ملزما بأن يطيع من كان له ندا، ولا يملك أكثر منه حقوقا"[2] بمعنى هنا كل فرد مســؤول على نفســه من خلال ما يمليه عليه عقله ويتصــرف بإرادته كما أنه يكون موجبا عليه طاعة غيره بمحص إرادته لا عن الاستبداد والخوف.

وعبر ســـبينوزا عن هذه الأخيرة بقوله " أن الطاعة لا مكان لها في مجتمع تكون السلطة فيه منتمية إلى جميع أفراده، وتوضع فيه القوانين برضاء المجتمع حيث يظل الشعب حرًا لأنه يفعل برضاه الخاص[3]" بمعنى هنا أنه لا يمكن أن نقارن بين طاعة المرء لنفسه مع طاعته لغيره لأن الأولى يكون وليٌ أمر نفسه يتصرف بحسب ما يمليه عقله وإرادته، والثانية تابعا لغيره.

إن الإنســان ولدا حرا طليقا وقبل ظهور الديمقراطية كان مســتعبدا يعاني من الظلم والاستبداد والقهر والجوع فنستطيع القول نعم إن الديمقراطية نظام غير حياة الإنسان وضمن له حقوقه الطبيعية داخل نطاق منظم وهو الدولة.

سبينوزا يحبذ النظام الديمقراطي لأنه يقلد حالة الطبيعة عن طريق حصر حق الحكام الأساسيين على قدر سلطتهم، وكذلك النظام يعقلن الطبيعة ويحقق ما هو مضمر فيها،ويفرق سبينوزا بين النظام الأرستقراطي والنظام الديمقراطي، الأرستقراطي يخلد المجلس الحاكم عن طريق الانتخاب. أما الديمقراطي فإن كل المواطنون مؤهلون ومناسبون لأن يدلوا بأصواتهم[1]، معنى هذا أن الأفراد لديهم الحرية التامة في اختيار حاكمهم الذي يحكم دولتهم.

---

[2]: جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس الدين والأخلاق والسياسة**، مرجع سابق، ص.203

[3]: مرجع نفسه، نفس الصفحة.

[1]ـــ: ليوشتراوس جوزيف كروبسى، **تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديديدس حتى سبينوزا**، تر: محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، (د.ط؛ القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،2005)، ج1، ص677-678.

انطلاقا مما ســـبق ذكره نســـتنتج بأن النظام الديمقراطي تكون فيه الحقوق منظمة وتتحقق فيه حرية الأفراد كما أنها ليس حكم فقط بل هي فضاء يمارس فيه المواطنون حقوقهم المدنية فهي تكفل للمواطنين الحرية الشخصية كحرية التعبير والتفكير.

كما أن الإنســـان ولد حرا طليقا وقبل ظهور الديمقراطية كان مســـتعبدا يعاني من الظلم والاستبداد والقهر والجوع، فنستطيع القول نعم إن الديمقراطية نظام غير حياة الإنسان وضمن له حقوقه الطبيعية داخل نطاق منظم وهو الدولة.

الفصل الثالث: العلاقة بين الدين والدولة في نسق سبينوزا السياسي.

- المبحث الأول: السلطة الروحية في مقابل السلطة الزمنية.
- المبحث الثاني: الحرية الدينية والحرية السياسية.
- المبحث الثالث: نقد وتقييم.

تمهيد:

يعتبر سبينوزا واحد من بين الفلاسفة الذين ساروا على النهج الديكارتي وتجسد هذا من خلال تطبيق سبينوزا لمنهجه ألا وهو منهج الأفكار الواضحة والمتميزة في كل من الدين والسياسة والعقل هو الأساس فيهما، ففي مجال الدين كان له دور في تحليل النبوة وتفسير الآيات والمعجزات. أما في نطاق السياسة فطبقه من خلال دراسته لأنظمة الحكم والمقارنة بينها وكذلك نقده للأنظمة التسلطية القائمة على حكم الفرد المطلق، وانتهى بهذا إلى أن النظام الديمقراطي هو أكثر النظم اتفاقا مع العقل والطبيعة، إلا أنّنا نعلم أن ديكارت قد استثنى من الشك أيضا النظم السياسية، والتشريعات الوطنية، وعادات البلد، أي أنه أخرج الجانب الاجتماعي كله من الشك وقصّره على الفكر، وبذلك يكون سبينوزا سابقا على كانط وهيجل في هذا اللون من التفكير السياسي من أجل تحديد الصلة بين الفكر والواقع، أو بين الدين والدولة،أو بين مهمة المفكر ومهمة السياسي. إذا من خلال هذا، كيف هي طبيعة العلاقة بين الدين والدولة في نسق سبينوزا السياسي؟

المبحث الأول: السلطة الروحية في مقابل السلطة الزمنية حسب سبينوزا

لقد كان أول ظهور لمشكلة العلاقة بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية في العصور الوسطى حيث كانت الكنيسة هي التي تهتم بالأمور الدنيوية والدينية، وكل المهام راجعة لسلطة الكنيسة والحاكم هو البابا الذي تؤول إليه كلتا السلطتين" إذ اعتمدت الكنيسة على وثيقة تاريخية والمتمثلة في هبة قسطنطين"[1] التي تنص على أن للبابا حاكم الكنيسة له الأحقية في التحكم في كل الأمور وله الحق في إصدار الأحكام الدينية والدنيوية، وسبينوزا اهتم بهذه المشكلة في العصر الحديث حيث كان ينادي بحرية الفكر بأنها لا تمثل خطر على الإيمان أو بتعبير آخر، أن العقل هو أساس الإيمان كما أنها لا تمثل خطرا على سلامة الدولة، وإذا غاب العقل ظهرت الخرافة والخرافة تنشأ من سيادة الأهواء والانفعالات على العقل، ويتذبذب الشعور الديني بين الخوف والرجاء والرهبة والرغبة، واستعمال الدين من أجل مصلحة شخصية و تقديسهم للخرافة والوهم تقديس متعال خارج الطبيعة يتدخل فيها كما يشاء. كما أن الحاكم يسير على أهواءه وانفعالاته وكان المؤمنون يتميزون في إيمانهم بعقائدهم وشعائرهم فيظن الجمهور أن الدين هو المناصب في المعابد التي يعيش فيها رجال الدين، وهكذا أصبح الكهنوت غواية الجميع فأصبح الطمع طريق الدعوة إلى الدين وتحولت الكنائس إلى مسارح وأصبح رجال الدين خطباء وما يهمهم إلاّ أن يعجب الناس بهم مما خلق التنافس فيما بينهم وهذا ما بقي من الدين إلاّ المظهر الخارجي، وأصبح الدين وسيلة للسيطرة على الجمهور للخضوع لله فكانت الخرافة وسيلة لتسيير العامة وهي أساس النظام الملكي باعتباره النظام التقليدي الذي يقوم على حكم الفرد المطلق الذي يخدع الناس ويرهبهم باسم الدين من أجل السيطرة عليهم واستعبادهم و وضع قيود على الفكر والعقيدة.

[1]: هاشم صالح، **مدخل إلى التنوير الأوروبي**، (ط1؛ بيروت، دار الطليعة، 2005)، ص95.

فحاول سبينوزا دراسة الصلة بين السلطة الزمنية المتمثلة في الدولة والسلطة الروحية المتمثلة في الدين اللتين لا يلتقيان على شيء. فالسلطة الروحية هي الكفيلة بتحقيق الصلة بين الإنسان والله التي تظهر في العدل والإحسان إلى الجار، وليس من حق السلطات الروحية اختيار اللحظة التي يبدأ فيها الناس هذه الصلة أو يمارسون فيها هذا الإحسان وهؤلاء الأفراد الذين يمثلون السلطة الروحية ليسوا في درجة الأنبياء بل مواطنون عاديون يعلمون فقط ببعض التأملات اللاهوتية، أما السلطات الزمنية فلها وحدها الحق في تفسير إجابات الله التي تبلغها السلطات الروحية وتقوم بتعيين رجال الدين وتدبر شؤون الكنيسة وتمنع زيادة عقائد الإيمان ومبادئه ولا يمكن نقض قراراتها لأنها مسؤولة أمام الله وحده؛ أي أن سبينوزا قصّر مهمة السلطة الروحية على بعض التعاليم الشرعية على مستوى فهم العامة، وهي لا تتمتع بنفس الحرية التي يتم عبها الفلاسفة الذين يقومون بتأملاتهم بفضل النور الفطري أي العقل، وكانت السلطة الروحية أو اللاهوتية تتمثل في رجال الدين أو الكنيسة والسلطة الزمنية هي السلطة المدنية المتمثلة في الحاكم أو رئيس الدولة وكانت هذه الدراسة بين الصلتين دراسة واقعية من خلال الأوضاع التي عاشها سبينوزا من خلال تداخل السلطتين الدينية والسياسية فكان كلاهما يقوم على الخرافة، ومنع حرية الرأي والقضاء على العقل.

فسبينوزاا كان موقفه متمثل في رفضه لتداخل السلطتين ويحبذ الفصل بينهما فلكل منهما شؤونه الخاصة، ويقول سبينوزا " إن لأصحاب السلطة الحق في تنظيم كل شيء وإن كل قانون رهن بإرادتهم، لم أكن أعني بالقانون المدني وحده، بل كنت أعني أيضا القانون المتعلق بالشؤون الدينية، الذي ينبغي أن يكونوا هم أيضا المفسرين له والمدافعين عنه[1]"

بمعنى هنا أن القرار والحكم يرجع للسلطة الحاكمة في جميع الشؤون سواء كانت المدنية أو الدينية وعلى السلطة أيضا مراعاة الدين وأحكامه وقوانينه فالسلطة تكون قبل

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، تر: حسن حنفي، مراجعة د. فؤاد زكريا، (ط1؛ بيروت، دار التنوير، 2005)، ص421.

الدين وهي التي تتحكم فيه لأن رجال الدين يقدمون على قرارات نسبية ترجع لمصلحة شخصية وتكون صادرة عن الأهواء والانفعالات إذن السلطة الزمنية هي الحاكمة على السلطنة الروحية وبيّن سبينوزا هذا من خلال قوله " وفينا أن نبين أن السلطة الحاكمة هي وحدها صاحبة الحق في تنظيم الشؤون الدينية، وأن الطاعة الحقيقية لله تحض على الاتفاق بين ممارسة العبادة الدينية وبين سلامة الدولة[1]" بمعنى هذا أن السلطة الزمنية تتحكم في السلطة الدينية وهي التي تشرع القوانين الخاصة بالدين، كما أن الدين يدعو الأفراد لطاعة حاكم الدولة ليتحقق السلام الداخلي للدولة.

فسبينوزا يرى أن الحكام الدنيويين لهم السلطة العليا في كل مسائل القانون، بما في ذلك الإشراف الخارجي على العبادة والشعائر الخارجية للدين، وبخصوص هذه المسائل يجب على الرؤساء الدينيين طاعة السلطة الدنيوية فحُكم على الدين أن يكون تحت قيادة الحاكم لأنه هو الذي يضمن السلام و الأمن للدولة، والسلطة الزمنية تتحكم في السلطة الروحية وتتحكم فيها كما أن الدين لا يكتسب قوة القانون إلا بإرادة من لهم الحق في الحكم، وأنّ الله لا يباشر حكما خاصا على البشر إلا بواسطة أصحاب السياسة، فالله يحكم على البشر بواسطة السلطة الزمنية.

ويزعم سبينوزا أن" ليس للدين الحقيقي سلطة إلا على الفعل، والدين الذي يزعم أنه يمارس سلطة نظرية هو خرافة"[2]. فرجال الدين كانوا يصدرون الأحكام حسب مصالحهم الشخصية وانفعالاتهم كانت تتحكم فيه وليس العقل ويقول سبينوزا " السلطة هي الحاكمة في الدين وهي حاميته وأن حقها في ذلك مطلق، وإلا تفرق الرأي بتفرق العقول والأهواء واختل النظام العام، ولا يكتسب الدين قوة القانون إلا بإرادة السلطة ومظاهر العبادة يجب أن تعين

[1]: سبينوز، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص.421

[2]: ليوشتراوس جوزيف كروبسى، تاريخ **الفلسفة السياسية من ثيوكيديديس حتى سبينوزا**، تر: محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، (د.ط؛ القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص682.

تبعا لأمن الدولة وفائدتها والولاء للدولة أرفع صـــور التقوى، إذ لو زالت الدولة لما بقي خير ما، ونجاة الشعب القاعدة الكبرى لجميع القوانين المدنية والدينية"[1].

وهنا يؤكد سبينوزا أن الدولة هي التي تنظم أفراد المجتمع تحت نطاق سياسي منظم كما أنها تسيره وتؤدي به إلى الخير والسلام لأنها تضع قوانين مشروعة منظمة أخلاقية وسياسية تسود فيها الحرية وهذا بعد أن بيَن سبينوزا أنَ الدولة السياسية الحديثة ليست ذات مصدر إلهي، ولا يمكنها أن تزعم أنها تحكم بسلطة الكتاب المقدس، وهو يعتقد، مثل هوبز، أن لكل إنسان في حالة الطبيعة الحق في كل شيء يقع في نطاق منه، وأن هذه الحالة هي حالة خوف عام، ولكي يتخلص الناس منها يجب عليهم أن يكونوا دولا بإرادتهم"[2] بمعنى هذا أن فضاء الدولة يضمن السلام والأمن إلا أنه لكي يرقى التنظيم السياسي يجب أن يتوافر له التفكير الحر، أما الديكتاتورية فهي ألذ أعداء الحرية الفكرية والسياسة"[3] فسبينوزا يطبق النظام الديمقراطي في الدولة ويرى أنها أفضل الأنظمة والغاية الكبرى منها تحقيق الحرية للأفراد أما الدكتاتورية تستبد الأفراد وتسلبهم حقوقهم.

ومن" الخصائص الملفتة لديمقراطية سبينوزا هي أنها تعطى للسلطة صاحبة السيادة الحق في أن تجعل القوانين الخاصة بالدين تلك القوانين التي نقررها، ولا يقصد سبينوزا أن يلغى الدين وإنما يريد بالأحرى أن يجنب خضـــوع الدولة لأحكام كل شـــخص وانفعالاته المتنوعة وعلاوة على ذلك عندما يمنح الكهنة السلطة السياسية، فإنها تفسدهم أي أنها تميل إلى إلحاق الضـرر بكل من الكنيسـة والدولة، ولا بد أن تكون صـورة الديمقراطية على نحو يوازن الحاجة إلى الانســـجام العام"[4] وما نفهمه من هذا أن الديمقراطية تحقق الحرية للأفراد

---

[1]: يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، (د.ط؛ القاهرة، الهنداوي للتعليم والثقاة، 2012)، ص125.

[2]: وليم كلي رايت، **تاريخ الفلسـفة الحديثة**، تر: محمود سـيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، (د.ط؛ المجلس الأعلى للثقافة، 2001)، ص121.

[3]: مصطفى ابراهيم مصطفى، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (د.ط؛ الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001)، ص208.

[4]: ليوشتراوس جوزيف كروبسى، **تاريخ الفلسفة الحديثة من ثيوكيديديس إلى سبينوزا**، مرجع سابق، ص685.

وتعطيهم حقهم مثلها مثل الحالة الطبيعية إلا أن في الديمقراطية يعتمد الأفراد في تفكيرهم على العقل وليس الشهوة فسبينوزا طبق أحكام العقل في كلتا السلطتين الروحية والزمنية حتى لا يخلط الناس بين البدع الإنسانية والتعاليم الإلهية، أو بين التصديق الساذج والإيمان الصادق.

كما أن سبينوزا حول الدين إلى أخلاق ذاتية لا تحتاج إلى طقوس أو ممارسات؛ بل تقوم على التزام فردي بطاعة قوانين الدولة واحترام الآخر لكي يكون السلم والنظام هو الأساس.

"وذلك لأن سبينوزا إنما يفكر في إحداث ثورة تنقلنا نحو مجتمع السلم والحرية دون عنف وفوضى، ويقر بأن المؤمن الحقيقي ليس هو الذي يملك عقائد دينية صحيحة بل الذي يملك ما يؤدي بالضرورة إلى طاعة الله التي لا معنى لها إذا لم تكن مجسدة في احترام الآخرين وفي طاعة الدولة"[1] فطاعة الله تأمر بضرورة تبادل الاحترام بين أفراد المجتمع واحترام قوانين الدولة وتطبيقها فالدين يأمر بهذه الطاعة لكي يتحقق التفاهم بين السلطتين.

ويقول سبينوزا " كما أن كل ما نفعله في سبيل حفظ الدولة لا يمكن أن يكون فيه إخلال بواجبنا نحو الجار، وأي شيء سوى الولاء. وعلى ذلك فالمصلحة العامة هي القانون الأعلى الذي ينبغي أن يخضع له كل قانون آخر، سواء كان إلهيًا أم بشريًا"[2].

من خلال هذا القول يؤكد سبينوزا أن مصالح المجتمع نفسه كما يمثلها قانون الدولة هي المرجع الأخير في كل شيء، وأن قانون الدولة يعلو على كل شريعة دينية وهذا تعبيرا واضحا عن اتجاهه الممثل في فصل الدين عن الدولة وإيثار مصلحة الدولة عن كل مصلحة أخرى بمعنى أن سلطة رجال الدين ينبغي أن تخضع لسلطة الحاكم، وقد يبدو هذا للبعض مذهبا يجعل الدولة متسلطة على العقائد، وهذا الموقف السبينوزي راجع لتجربته الخاصة مع

[1]: مصطفى الشاذلي، **الدين والدولة عند سبينوزا**، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3797، 2012/07/23.

[2]: فؤاد زكريا، **سبينوزا**، (د.ط؛ بيروت، دار النهضة العربية، 1963)، ص231.

ممثلي السلطة الدينية التي أفقدته الثقة بحكمهم تماما، لأنهم يراعون مصالحهم الخاصة، لا المبادئ والمثل العليا في أحكامهم وهذا ما جعله أن يحرص على إخضاعهم للسلطة المدنية تأمينا لنفسه ولغيره، وهذا الخضوع للسلطة المدنية كفيل بعدم تغليب دين على دين وضمان الحرية لجميع الأديان، " فالدين لا يكتسب قوته مثل القانون إلا من أوامر صاحب السيادة، وليس لله مملكة خاصة بين الناس إلا من حيث أنه يحكم عن طريق حكام دنيويين"[1] بمعنى هذا أن سلطة السياسة تفوق سلطة الدين كما أنها لها الحق في تشريع القوانين التي تخص مجال الدين التي أمر بها الله عن طريق حاكم الدولة.

كما أن سبينوزا طرح قضية حرية التفكير ليس في عصر من العصور أو في بلد محدد، وإنما جميع العصور وكل الأمصار، "وفي هذا السياق تندرج دعوة سبينوزا إلى الفصل بين السلطتين الدين والدولة من أجل وضع حد نهائي لطغيان رجل السياسة الذي يتستر وراء راية الدين ويتدرع به أمام غضب الجمهور، وأيضا من أجل الحيلولة دون تدخل رجل الدين في شؤون المجتمع والسياسة ودون تطفله على حياة الأفراد العامة والخاصة"[2] وسبينوزا فعلا طبق هذا الفصل بين السلطتين "وحدٌ من شأن السلطة الروحية الذي لم يستطع أي فيلسوف أو حاكم فعل هذا و لكنه يعطي الحاكم الحق في تنظيم الطقوس الدينية، ومن ثم سلب من الكهنة أهم خصائصهم، لذلك قبل أن الدين عند سبينوزا أصبح مدنيًا"[3] بمعنى هنا أن الدين متضمن مع القوانين المدنية للدولة وهي التي لها الحق في تشريعه وليس رجال الدين الذين يدّعون أنهم سياسيون ومدنيون فالدين يعتبر جزءا من أجزاء السلطة الزمنية وهي التي ننحكم وليس هو فالسلطة الحاكمة هي التي تشرع وتحدد الأفعال التي يعبر بها الأفراد عن الإحسان أو غيره من الأفعال التي يطيعون بها الله بمعنى أن السلطات الحاكمة التي تمثل السلطة

[1]: برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشطي، (د.ط؛ الإسكندرية، المصرية العامة للكتاب، 2002)، ص686.

[2]: سبينوزا، **رسالة في إصلاح العقل**، تر: جلال الدين سعيد، (د.ط؛ تونس، دار الجنوب للنشر، 1999)، ص21.

[3]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص429.

الزمنية هي التي تفسر الدين للشعوب مع مراعاة المصلحة العامة لكل الأفراد وأن طاعة الله تكون بطاعة السلطة الحاكمة.

ولقد ناقش سبينوزا هذه المسألة في تحليله للدولة اليهودية كما أسسها موسى ويلخصها فيما يلي:

- لا بد أن يكون هناك فصل بين الوظيفة الدينية والسياسية لأن تداخلهما سبب الظلم والاستبداد للأفراد لأن رجال الدين يصدرون القرارات حسب مصالحهم الشخصية لا حسب المصلحة العامة للشعوب.
- كما أنه يجب أن لا ترجع المسائل النظرية التأملية إلى القانون الإلهي لأن الدين يجب أن لا يكمن إلا في الأفعال فقط أي مجال العبادات وعلاقة الله مع عبده وهذه العلاقة تتحسن إلا بطاعة قوانين السلطة السياسية والحاكم هو الذي يحددها ويُشرع فيها أن كان حسنا أم سيئا.
- السلطة الزمنية هي التي صاحبة السيادة وهي من لها الحق في أن تقرر ما هو قانوني أم غير ذلك وتقرر ما يجب على السلطة الروحية أن تفعله من خلال اتصال الإنسان مع الله التي تكون ظاهرة في العدل والإحسان بينهم.

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن سبينوزا يفصل فصلا تاما بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية، وهذا الفصل يتجسد من خلال أن تكون السلطة الروحية تحت سلطان السلطة الزمنية بحيث لا تملك الحق في تشريع القوانين سواء التي تخص الدولة أو تخص مجالها هي بحد ذاتها، فالدولة هي التي تشرع القوانين الدينية والمدنية التي تخص أفراد المجتمع ويعتبر أن الدين مجاله يكمن في الأخلاق والعبادات فقط بينما مجال السياسة هو مجال العقل، وهو الذي يملك الحق في إقرار القوانين التي تخص الدولة وفي كل المجالات الاجتماعية والثقافية وتحت نظام تسود فيه الحرية والديمقراطية وهذا الموقف راجع لما عاشه سبينوزا من اضطهاد واستبداد لرجال الدين آنذاك من أجل إرهابهم وتخويفهم من أجل السيطرة

عليهم واستلام الحكم لمصالحهم الشخصية ومنافعهم وأول ما بدأ به سبينوزا دراسة الكتاب المقدس مما وجد في تأويله من خرافات وأمور مغايرة لما هو في أِرض الواقع، وهذا نتج عنه فصل السلطتين لكي يُكون الأفراد دولة قائمة بذاتها تسهر على المصلحة العامة لجميع أفراد المجتمع وتحقيق الأمن والسلام الداخلي والخارجي وتكون دولة منظمة العقل هو الأساس فيها، وبهذا أخرج سبينوزا المجتمع من حالة الفوضى والعنف إلى الهدوء والأمان والطمأنينة.

المبحث الثاني: الحرية الدينية والحرية السياسية عند سبينوزا

بما أن سبينوزا اعتبر النظام الديمقراطي أساس لقيام دولة حرة فهو ينادي بالحرية لأن الإنسان يتميز بالعقل والإرادة والحرية، وينادي بالحرية للإنسان سواء من الناحية الدينية أو السياسية، ويرى أن الحرية حق مكفول لكل فرد إلا أن سبينوزا يفصل بين ما هو سياسي وديني "ويتمثل موقفه العام هو عدم تدخل السلطات السياسية في الأمور النظرية حتى لا تمنع حرية الفكر أو تنتصر لرأي دون آخر، ويقصد سبينوزا بهذه العبارة ممارسة الدولة لسلطتها السياسية فحسب ولحفظ النظام، ويُعني بوضع الدولة بعض التشريعات للمحافظة على الدين أن تنص مثلا على حرية العبادات ، وليس إكراه الناس في الدخول في دين أو اعتناق عقيدة خاصة"[1] بمعنى هنا أن الدولة يجب عليها أن تضمن حرية الأفراد في ممارسة العبادات التي تنطبق على دينهم الذين يعتنقونه فلكل فرد له دين وعقيدة خاصة به ولا يحق للسلطة أن ترغمهم على اعتناق عقيدة معينة فكل واحد حر في ممارسة عقيدته "فالدولة هي الضامن الأكبر لحرية التفكير والمعتقد في مجال الدِّين، وهي حرية مطلقة[2]" فالدولة تضمن للمواطن الحرية في ممارسة عقيدته ودينه الخاص "ولكن ماذا يفعل الفرد إذا أمرته الدولة بما يعارض طاعته لله؟ هل يطيع الله أم يطيع الدولة؟ ويجيب سبينوزا على ذلك بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن خشية أن يفسر كل فرد وصايا الدين على هواه ويأخذ

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسية**، مصدر سابق، ص89.

[2]: جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس الدين والأخلاق والسياسة**، (ط1؛ المغرب، مؤمنون بلا حدود، 2017)، ص178.

ذلك ذريعة لعصيان قوانين الدولة، فعلى الدولة أن تضع تشريعا للمحافظة على الدِّين خاصة وأن الله يأمر بطاعة القوانين الوضعية[3]". فالدولة مهمتها تنظيم شؤون الدين مع ضمان حرية الأفراد في طاعة الله ويجب أن تكون هذه الطاعة في حدود قوانين الدولة أي لا تضر مصالح الدولة وأمنها.

كما يرى سبينوزا "على الرغم من عدم ولائه لأي كنيسة أو اعتناقه لأي دين، أنه على الدولة إذا أرادت أن تشجع على التقوى بما هي شرط الأخلاق، أن تفسح المجال لشعائر العبادة في حدود معقولة إلا أن في اعتقاده أيضا أنه على الدولة أن تراقب بعين ساهرة مختلف العبادات بل أن تكلف وكلاء عنها لإدارة الشؤون المقدسة[1]". بمعنى هنا سبينوزا يبين أن يجب اهتمام الدولة بالسلطة الروحية وإعطائهم حرية التفكير وإبداء الرأي وأن هذه الحرية يجب أن تكون معقولة ومحدودة لكي لا تعود على الدولة بالسلب بمعنى لا تهدد الأمن والسلام الداخلي لها، ويقول سبينوزا في هذا" لأن ذهن الإنسان لا يمكن أن يقع تحت سيطرة إنسان آخر، إذ لا يمكن أن يخول أحد بإرادته أو رغما عنه إلى أي إنسان حقه الطبيعي أو قدرته على التفكير وعلى الحكم الحر في كل شيء وعلى ذلك فإن سلطة تدعي أنها تسيطر على الأذهان إنَما توصف بالعنف، كما تبدو السيادة الحاكمة ظالمة لرعاياها ومغتصبة لحقوقهم عندما تحاول أن تفرض على كل منهم ما يتعين قبوله على أنه حق وما يتعين عليه رفضه على أنه باطل[2]". بمعنى هذا أنه لا يحق لأي كان أن يحد من حرية معتقدات وتفكير الأفراد داخل الدولة، ويرجع سبينوزا أن الدولة التي تسلب هذا الحق دولة ظالمة ومنتهكة لحقوق أفرادها وهذا مستبعد في النظام الديمقراطي الذي ينادي به سبينوزا ويركز فيه على الحرية الإنسانيَة إلاَ أن سبينوزا لا يدعو إلى الحرية المطلقة للتفكير والمعتقد لأنه يرى أنها تؤدي إلى عواقب وخيمة ويقول في هذا " وعلى ذلك فإن السلطة السياسية

[3]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص89.

[1]: جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس الدين والأخلاق والسياسة**، مرجع سابق، ص179.

[2]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص435.

تكون أشـد عنفا إذا أنكرت على الفرد حقه في التفكير وفي الدعوة لما يفكر فيه،وعلى العكس تكون معتدلة سلمت له بهذه الحرية ومع ذلك فنحن لا ننكر أن سيادة الدولة يمكن أن يطعن فيها بالأقوال كما يطعن فيها بالأفعال، وبالتالي فإذا كان من المستحيل سلب الرعايا حريتهم في التعبير كلية، فإن من الخطورة التسـليم لهم بها كلية[3]" بمعنى هنا أنه يجب التوفيق في التسـليم لحرية الأفراد لكي نحافظ على سـلامة الدولة فإذا كان كل فرد يتصـرف بحرية في التفكير والمعتقد يصـبح الوضـع متفاقم وتتكون طوائف وعشـائر مختلفة العقيدة وينشـأ لنا تضارب الأفراد كما أنه لا يمكن سلبهم حريتهم فتصبح دولة ظالمة وبهذا يوضح لنا سبينوزا إلى أي حد يمكن ويجب التسـليم بهذه الحرية دون أن يكون هناك خطرا على الدولة وهي أن تكون الغاية القصـوى لتأسـيس الدولة ليسـت السـيادة، أو إرهاب الناس بل تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش كل فرد في أمان بقدر الإمكان وأن يحتفظ الفرد بحقه الطبيعي في الحياة كما أن الغاية من تأسـيس الدولة ليس تحويل الأفراد إلى آلات صـماء بل إعطائهم الفرصـة لاسـتعمال قواهم الذهنية والبدنية بحيث يتسـنى لهم أن يسـتخدموا عقولهم اسـتخداما حرا بدون استبداد.

فسبينوزا يدعو إلى عدم سلب الأفراد حريتهم في التفكير والتعبير، ويعتبر هذا مخالفا للمعقول لأنه يسـتحيل أن يتحكم أحد فيما نبطنه من أفكار، والاعتراف بهذه الحرية لا يشـكل تهديدا على سلامة الدولة والتقوى بقدر ما يزيد من حمايتها كما أنها ضرورية للمحافظة على الدولة، وعلى الرغم من إقرار سبينوزا من تعدد المذاهب الفكرية والدينية لا يخفي سبينوزا من منطلق نزعته الواحدية ميله إلى كل ما يوحد البشـر ويجعل الدولة والمجتمع متوقفا على العيش في وحدة تامة ولضـمان سـلامة الدولة يجب أن نجعل التقوى والدين مقتصـرين على ممارسة العدل والإحسان إلى الجار، كما يجب أن ينصب تشريع السلطة العليا في المجال الديني والدنيوي على أفعال الرعايا وحدها، وأن يترك لكل فرد حريته في التفكير والتعبير.

[3]: مصدر نفسه، ص437.

ولكي يحقق سبينوزا هذه الحرية الدينية وجب عليه فصلها عن السلطة السياسية، لأنه يجب أن تتحكم الدولة فيها وتشرع القوانين الدينية والدنيوية لأن الدولة توفر الجو السياسي المناسب للأفراد وتنظمهم مما يجعلها تضمن لهم حريتهم في الدِّين والاعتقاد، لأن رجال الدين يمارسون التسلط على الأفراد والتحكم فيهم وفي دياناتهم، فسبينوزا حاول منع هذا الظلم من خلال فصل السلطتين و الدعوة للحرية.

كما ينادي سبينوزا بالحرية في السياسة من خلال تأكيده "أن الحياة الإنسانية حياة اجتماعية سياسية بالأساس وأنه لا يمكن تصور الإنسان إلا داخل المدينة[1]". فالإنسان اجتماعي بطبعه، كما أن سبينوزا يقر بأن الحالة المدنية مطابقة تماما للحالة الطبيعية وهي استمرار لها، كما أنه في الحالة المدنية يعيش الإنسان وفقا للعقل للامتناع من ممارسة الشهوة والخرافات والانفعالات التي تؤدي بالفرد إلى حالة همجية وكان سبينوزا يدعو لممارسة الحرية في السياسة من خلال استعمال العقل فالحرية تعني أن يكون الإنسان مستقلا سواء من الناحية الفكرية والجسدية والنفسية ويقول في هذا "فالواقع أن الفرد الذي تسيطر عليه شهوته إلى حد أنه لا يستطيع أن يرى أو يفعل ما تتطلبه مصلحته الحقيقية ويكون في أحط درجات العبودية، أما الحر فهو الذي يختار بمحض إرادته أن يعيش بهداية العقل وحده"[2].

بمعنى هذا أن العيش وفق العقل يحقق الحرية للفرد أما العيش وفق الشهوة يحيل المرء للعبودية. "فالدولة الحرة هي التي تعتمد في قوانينها على العقل السليم والفرد الذي يريد أن يكون حرا يجب أن يعيش وفقا لعقله"[3]، وتتحقق الحرية عند سبينوزا من خلال الاعتماد في الأحكام على النظام الديمقراطي التي غايته الأساسية هي ضمان الحرية للأفراد من خلال تنظيم المجتمع وتكون وحدة اجتماعية سياسية تضمن الحقوق للأفراد، فالديمقراطية

[1]: رحال عباسية، **الحرية والسلطة السياسية في فلسفة سبينوزا**، إشراف أرزقي عمر، جامعة وهران، 2015/2014، رسالة ماجستير، ص51.

[2]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص374.

[3]: مصدر نفسه، نفس الصفحة

هي النظام الوحيد التي تضمن للأفراد ممارسة الحرية ليس سياسيا فقط بل اجتماعيا وثقافيا وأخلاقيا على عكس النظام الملكي.

تتمثل الحرية السياسية في إمكانية الأفراد من إبداء الرأي والتعبير والتفكير والعمل في مقابل طاعة قوانين الدولة فيما تقتضي المصلحة العامة للأفراد ويقول سبينوزا "فيجب الاعتراف لكل فرد بحريته في الرأي، وحكم الناس بحيث يعيشون في سلام بالرغم من اختلافهم وتعارضهم في الآراء، ولا يمكننا أن نشك في أن هذه الطريقة في الحكم هي أفضل الطرق وأكثرها اتفاقا مع الطبيعة الإنسانية ففي الدولة بيّنا أن جميع الناس يتفقون على العمل بإرادة مشتركة[1]" وهذا ما أراد سبينوزا تجسيده من خلال هذا النظام الديمقراطي الذي يضمن الحرية السياسية لجميع الأفراد "فالديمقراطية نظام سياسي يمنح الأفراد الحريات السياسية وتكون على شكل حقوق سياسية ومدنية، وهي تضع السلطة للأفراد وليس الحاكم "فالحرية هي الغاية الأساسية من قيام الدولة[2]" إذن الحرية هي غرض الدولة الأسمى كما أن الحرية هي شرط أساسي لقيام السلطة السياسية لأنها تجعل علاقة الفرد والمواطن علاقة ثقة كما أنها تزيد من تقوية هذه العلاقة وتوطيدها وسلب هذه الحرية يفقد المواطن ثقته في حاكمه ويثير الفوضى وحالة عصيان.

فالمسألة الدينية والمسألة السياسية هما مظهران لمشكلة واحدة عند سبينوزا إذ يتوجب طرد الخوف والحقد، وإقرار العقل على الأرض ويجب أولا تخليص الدين من معجزته، وإدخال الفكر الحر في المجال الديني وأن الناس تحاسب على أعمالها كما تحاسب الشجرة على ثمارها إذا يجب ترك حرية الحكم لكل فرد مع ترك الحرية له لكي يفهم مبادئ الدين كما يشاء"[3] صحيح أنه الإنسان حر في فهم الدين كما يشاء إلا أنه يجب عليه مراعاة الوسط الداخلي للدولة والمجتمع فليس كل شيء مباح له.

---

[1]: سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مصدر سابق، ص442.

[2]: مصدر نفسه، ص437.

[3]: جان توشار، **تاريخ الفكر السياسي**، تر:علي مقلد، (ط2؛ بيروت، الدار العالمية، 1983)، ص288.

ومن هنا يمكننا القول بأن سـبينوزا من خلال دراسـته للسـياسـية أنه حاول أن يجعل السـياسـة عقلانية، وهذا راجع لإتباعه للمنهج الديكارتي فسـبينوزا أعطى للعقل مكانة مرموقة وأراد أن يسـير الإنسـان وفق عقله لا شـهوته لأن بالعقل تتحقق الحرية الإنسـانية، وهذا كله بتطبيقه للنظـام الـديمقراطي الـذي غـايتـه الحقيقـة الحريـة المتمثلـة في حريـة التعبير والتفكير وضـمان الأمن والاسـتقرار للدول، ومناداة سـبينوزا بالحرية السـياسـية كان نتيجة ما عاشـه في بلده وطائفته، وتحقيق هذه الحرية كانت بضرورة فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية حيث يقول جيل ديلوز" أن سـبينوزا طرح في كتابه رسـالة في اللاهوت والسـياسـة سـؤال لم يناضـل الشـعب من أجل عبوديته كما لو كانت هي الحرية"[1]. ما نفهمه من هذا القول أن سـبينوزا يقصـد بهذا تقيد الشـعب بأحكام الدين الذي تمثل سـلطته رجال الكنيسـة الذين يقيدون الفكر مما يؤدي لعبوديتهم واسـتبدادهم، فسـبينوزا يدعو للمطالبة بالحرية في دولة سـياسـية ديمقراطية.

[1]: Gilles Deluze : Spinoza , (puf S -T ؛ paris)1970 ,P14.

المبحث الثالث: نقد وتقييم

لقد كان لفلسفة سبينوزا أثرا بالغا في الفلسفة الحديثة من خلال أفكاره التي تمحورت في مجالي الدين والسياسة التي أعطاهما سبينوزا مكانة مرموقة من خلال معالجته لجميع القضايا المتعلقة بهما، وكانت أول خطوة هي نقده للكتاب المقدس الذي كان تأويله من قِبل اللاهوتيين تأويلا مخالفا ومغالطا لما جاء به الكتاب وكذلك كان فيه احتكارا للعقل والطبيعة ويقر سبينوزا بأن الدين متضمنا في علاقة الله مع عبده فقط وبعيدا عن جميع المجلات الأخرى، ومن بينها مجال السياسة الذي يرى سبينوزا بأنه يجب فصلهما لكي تحقق حرية الفكر، ويدعو سبينوزا في نطاق السياسة أنه يجب الامتثال لأوامر العقل وقيام الدولة يكون عن طريق نظام حكم يضمن الحرية للأفراد وهذا النظام هو الديمقراطية الذي يعتبره سبينوزا أفضل الأنظمة فجسد سبينوزا أفكاره هذه في كتابه" اللاهوت والسياسة" الذي كان شارحا لفلسفة سبينوزا، فكل مفكر وكل فيلسوف له من يؤيد ويقتنع بأفكاره ويسير على نهجه ومنهم من يعارض وينتقد، فسبينوزا تعرض مثله مثل جميع الفلاسفة للنقد ومن بينهم ليبنتز [*](1716/1646) الذي قال عن "مذهب رديء من شأنه، في أحسن الأحوال، لن يبهر العامي، ولا يمكن الدفاع عنه ومخالف للصواب"[1] بمعني هنا ليبنتز ينتقد المذهب السبينوزي الذي يتمثل في بكل ما جاء به من سبينوزا سواء المنهج العلمي في تفسيره للكتاب المقدس وإقراره بوحدانية الذي تمثل بأن الله والطبيعة شيء أو تحريره للفكر الإنساني سواء في الدين أو الفلسفة ويقصد بمذهب رديء بمعنى أنه لم يأتي بجديد وعقيم وخارج عن المنطق فليبنتز من أشد المعارضين لسبينوزا.

[*] **ليبنتز** (1716/1646) فيلسوف ألماني وعالم بالرياضيات و لاهوتي وكيميائي، درس في مدرسة نيقولا بلابيتزغ، اهتم بالمنطق والميتافيزيقا وهما مصدر هواجسه،من أعماله" مقال في الميتافيزيقا وحساب التكامل (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص578).

[1]: جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، (ط3؛ بيروت، دار الطليعة، 2006)، ص361.

لقد عارض ليبنتز سبينوزا في بعض الأمور التي تتعلق بالعقيدة المسيحية حيث قال فيها" إن هذه المبادئ الأخلاقية الاجتماعية لن تكون كافية بدون المسيحية"[1] بمعنى هنا ليبنتز يمجد العقيدة المسيحية التي رفضها سبينوزا وعقب على أهم ما جاءت به فالمسيحية في نظره لا تدعو لممارسات أخلاقية أما عند ليبنتز هي عقيدة تحقق الأخلاق الحميدة فمجالها ليس الدين فقط بل كذلك تهتم بأخلاق المجتمع وتوجهه للفضيلة.

كما أن ليبنتز رفض رسالة سبينوزا بقوله اعتبر الرسالة اللاهوتية خطرا على العقيدة المسيحية ولا بد من تصدي العلماء المتخصصين في اللغات الشرقية لدحضه وحماية المسيحيين مما جاء فيه من سموم تهدد الدين[2]" لأن الرسالة تدعو للتحرر الفكري وهذا يعتبره ليبنتز تهديد بالخطر على العقيدة المسيحية وخروج عن معتقداتها مما يسبب تمرد المجتمع المسيحي، فسبينوزا يرى أن يطبق الأفراد القيم الاجتماعية والأخلاقية وفقا لأوامر العقل، أما ليبتز يرى بأنه يجب أن تطبق على أساس معتقدات المسيحية.

كما رفض ليبنتز فكرة أن الله والطبيعة شيء واحد ووحدة الروح والجسد وأن الله لا يعمل وفق غاية ، واخضاع كل شيء للضرورة الحتمية لسبينوزا هذه أمور لا تعجب ليبنتز في فلسفة سبينوزا.

تمثلت الاختلافات بين سبينوزا وليبنتز في الجوهر والله وصفاته صلة الفلسفة باللاهوت فهي موضوعات كل واحد نظر إليه بما يناسبه كما يقر ليبتز بأن مذهب سبينوزا أقل انتشارا لأنه يعتمد على حدس ذهني للكل ويغلب عليه التصوف الروح. أما مذهب ليبنز فهو أكثر انتشارا لأنه يهتم بالعلم الحديث ويدعو بتفاؤل للدين والأخلاق.

---

[1]: ج. ف. ليبنتز، **أبحاث جديدة في الفهم الإنساني نظرية المعرفة**، تر: أحمد فؤاد كامل، (د.ط؛ المغرب، دار الثقافة، 1983)، ص.44.

[2]: مرجع نفسه، نفس الصفحة.

فصـــورة ســـبينوزا في نظر ليبنتز مزدوجة منها أن ســـبينوزا ذلك اليهودي عدو الدين والأخلاق ونظام الدولة الذي تمرد على القوانين والدين والإيمان حتى اتهمه ليبنتز بالإلحاد والرؤية الأخرى له على أنه طبيب وعالم جدير بالثناء والشـــكر وهو صـــاحب الحرية الفكرية وصاحب فلسفة صوفية وهذه النظرة ظلت غير معروفة للآن.

انطلاقا مما ســـبق ذكره بالرغم ما قدمه ســـبينوزا للفلســـفة والعلم والدين والأخلاق والسياسة إلا أن ليبنتز لم يعطي له أهمية واتهم مذهب سبينوزا بالرداءة وهذا يعتبر ظلم في حق فلســـفة ســـبينوزا لأنه قدم الكثير للدين من خلال تطهيره للعقول البشـــرية من الخرافات وكذلك مناداته لحرية الفكر والعقيدة مما جعل الإنســـان حرا إلا أن هذا لا يعني أن ســـبينوزا ليس لديه مؤيديين لفلسفته ويعتبرون إمتداد له ومن بينهم هيجل* (1831/1770) الذي رأى فلسفة سبينوزا بنظرة إيجابية ويقول بأن فلسفة سبينوزا نقطة تصالب في الفلسفة الحديثة أي أن فلسفة سبينوزا تعتبر أهم فلسفة في الفلسفة الحديثة. وما نفهمه من هذا القول أن هيجل يمجد فلسفة سبينوزا ويعطيها مكانة مرموقة ويقول هيجل في هذا الصدد"إما سبينوزا أو لا فلســـفة، ومتى يبدأ المرء بالتفلســـف فلا بد له أولا أن يكون ســـبينوزيا"[1] بمعنى هذا أن هيجل حصـر كل الفلسـفة في سـبينوزا وهذا ما يبين لنا تأثير سـبينوزا على فلسـفة هيجل لأنه جعل فلسفة سبينوزا فلسفة يحتذ بها.

كما أن "الفكرة الهيجلية عن اللامتناهي اســـتمدت جذورها من فلســـفة ســـبينوزا التي حصـــرها ســـبينوزا في الجوهر الذي هو علة ذاته وأزلي ولامتناهي ويقصـــد باللامتناهي عن الجوهر ليس الذي لا نهاية له، وليس هو اللامتعين بل هو المتعين بحد ذاته"[2] لأنه لديه

---

* **هيجل:** فيلسوف ألماني من مواليد 1770 وتوفي سنة1831، في بؤلين متأثرا بالكوليرا، كان نموذج للانتباه والدقة تسجل في الصـــف العالي للاهوت، أوقظ المواهب العقلية التي كانت غافية، كتب العديد من المقالات تحصـــل على دبلومه في اللاهوت، من أعماله مبادئ فلسفة القانون والدروس في فلسفة التاريخ، (بنظر: جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص721).

[1]: جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق، ص321.

[2]: ولترستيس، **فلسفة هيجل** ميشيل ميناس، **هيجل والديمقراطية**، المجلد الثاني، تر: إمام عبد الفتاح إمام،(د.ط؛ 1996)، ص63.

صـــفات كما أن ســـبينوزا يرجع كل شـــيء إلى وجود الجوهر لأنه هو العلة الفاعلة لكل الموجودات فهيجل أسـس فكرته عن طريق فكرة سـبينوزا وهو يعتبر امتداد له، كما أن هيجل يدافع عن ســبينوزا في قضــية اتهامه بالإلحاد ويرد على قائليها"على أســاس هوية الله مع الطبيعة تُلغي فكرة الله، فيقول إن الأصـــح هو القول بأن هذه الهوية تُلغي الطبيعة؛ ولهذا يقترح بدلا من تســـمية مذهبه بالإلحاد أن يســـمى باللاكونية أو اللاطبيعية بحيث لا يكون للكون وجود في ذاته؛ لأن كل ما يوجد إنما يوجد في الله"[1] هذا قدمه هيجل كرد على متهمين ســبينوزا بالإلحاد وهو يشــرح لهم فكرة الله والطبيعة عند ســبينوزا كما يقول "إن مزاعم أولئك الذين يتهمون سـبينوزا بالإلحاد مخالفة للحقيقة على خط مسـتقيم، فلدى سـبينوزا من الله أكثر مما ينبغي[2]" بمعنى هذا أن هيجل يدافع عن ســبينوزا في قضــية الإلحاد ويبين لهم بأن الله عند سبينوزا موجود بالفعل ولكن هم لا يفهمون فكره وفلسفته ومقاصده في فكرة الله لأن فلسفة سبينوزا بطبيعتها تتميز بالغموض والإبهام وهذا ما جعل الأكثرية لا يفهمون تأملاته الفلسفية.

لقد تميزت فلسـفة سـبينوزا بعدة محطات متنوعة جعلت فلسـفته محل إثارة واسـتفهام لدى الكثير. فسـبينوزا يعتبر ديكارتيا بامتياز وهذا راجع لتطبيقه لمنهجه، فمشـوار سـبينوزا بدأ من خلال انتقاده لأحكام اللاهوتيين وتأويلاتهم الخرافية للكتاب المقدس وهذا ما جعل سـبينوزا يطبق المنهج العلمي لدراســـته ونتج عن هذا إخراج ســـبينوزا الناس من الجهل إلى النور وتمكينهم من اسـتعمال العقل الذي كان محتكرا من قيل ورؤية سـبينوزا على أن الله والطبيعة شـيء واحد هي نظرة جامعة لكل فلسفة سبينوزا، ومن بين أهم القضـايا التي عالجها سبينوزا هي إشـكالية الدين والسـياسـة فسـبينوزا يرى أنه يجب فصـلهما لكي تتحقق حرية الأفراد في الدولة من خلال جعل الدين يقع تحت سلطة الدولة وهي التي تشرع القوانين الخاصـة به مع ضمان حرية الأفراد في التفكير والاعتقاد وهذه الحرية يجب أن تكون معقولة لا تهدد بسلامة الدولة وأمنها فسبينوزا قدم الكثير للفلسفة بالرغم من الصعوبات التي واجهها.

---

[1]: فؤاد زكريا، **سبينوزا**، مرجع سابق، ص108.

[2]: مرجع نفسه، نفس الصفحة.

إلا أن سـبينوزا من خلال موقفه المتمثل في فصـل الدين والسـياسـة جعل من الدين منحصـــرا في مجاله الخاص به من خلال نظرته له على أنه مبدأ أخلاقي ذاتي فقط بمعنى تنحصر مهامه في أخلاق الفرد كالعدل والإحسان، وهذا من أجل ضمان الحرية والديمقراطية إلا أن الدين يعتبر مهما ابتعد عن السياسة إلا أنه يجب الرجوع إليه.

خاتمـة

من خلال ما عرض في هذا البحث توصلنا للنتائج التالية:

– عمل ســـبينوزا من البداية على نقد تأويلات اللاهوتيين الباطلة والخرافية من أجل تحرير العقل والطبيعة من الأفكار المغالطة التي جاءت بها تأويلاتهم وجعل التفكير منطقيا وفلسفيا.

– اعتمد سـبينوزا على منهج البحث الطبيعي أي المنهج العلمي لتفسـير الظاهرة الدينية الذي مصـدره العقل فبهذا المنهج اسـتطاع سـبينوزا الخروج من الغموض إلى الوضـوح والبداهة في تفسيره للكتاب المقدس.

– سـبينوزا يؤمن بفكرة أن الله هو الطبيعة وهذه الفكرة تعدُ الأقوى في قيام فلسـفته وتقسـيمه للطبيعة إلى الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة.

– تتمثل نزعة سـبينوزا في وحدانية الوجود عكس ثنائية ديكارت، فالله واحد عند سـبينوزا وهو أصل الوجود وترجع إليه كل الموجودات وهو علة ذاته.

– رفض سبينوزا للعقيدة اليهودية بسبب أفكارهم وأعمالهم التي كانت مخالفة الكتاب المقدس، كما أنّه رفض العقيدة المسيحية لتناقضها مع ما دعا إليه المسيح وهذا ما جعل سبينوزا أن لا يعتنق أي عقيدة وهذا أدى باتهامه بالإلحاد.

– العقل هو الأداة الفاعلة لبناء مجتمع ســياســي عند ســبينوزا، كما أن الحالة المدنية هي امتداد للحالة الطبيعية، وذلك من منطلق أن نشــأة الدولة لا يتم إلا من خلال مرورها بالحالة الطبيعية وصولا إلى حالة المجتمع السياسي، ولقد استقى فكرة نشأة المجتمعات السياسية من رواد الفلسـفة السـياسـية الحديثة، ونقصـد هنا فلاسـفة العقد الاجتماعي –جان جاك روسـو، توماس هوبز، جون لوك. على الرغم من الاختلاف الكامن بينهما، إلا أن الاتفاق كان على أن الآلة الطبيعية هي المرحلة الأولى في نشأة الدولة.

– أفضـــل نظام عند ســـبينوزا هو النظام الديمقراطي الذي يحقق حرية التفكير وتطبق فيه العدالة والمســاواة ويجعل الفرد مع تواصــل مع حاكمه بدون تقيد من جهة، ومن جهة أخرى أن النظام الديمقراطي يؤسس للحريات العامة والخاصة ولا يتعارض منها شيء بالدين.

– فصل سبينوزا السلطة الزمنية المتمثلة في الدولة عن السلطة الروحية التي تمثل الدين، وهذا راجع لاستعمال الدين في المصالح الدنيوية من طرف رجال الدين، لتصبح السلطة الروحية تحت سلطان السلطة الزمنية.

– دعوته لحرية الدين والمعتقد وذلك في حدود معقولة كما يجب أن لا تسبب هذه الأخيرة ضررا بسلامة الدولة لأن حرية الدين تؤدي بانفلات الأفراد داخل الدولة فيجب أن تكون هذه الحرية الدينية لا تتعدى قوانين الدولة.

– تأكيد سبينوزا على أنّ الدولة هي الضامنة لحقوق الإنسان والمجتمع في نطاق النظام الديمقراطي ولهذا يشجع سبينوزا المجتمعات على تكوين دولا للخروج من الفوضى التي تحكمها الشهوة إلى الأمن والسلام والنظام باحتكام أوامر العقل.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر:

1/ باروخ ســـبينوزا، **علم الأخلاق**، تر: جلال الدين ســـعيد، مراجعة جورج كتوره، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،2009.

2/ سـبينوزا، **رسـالة في إصـلاح العقل**، تر:جلال الدين سـعيد، (د.ط)، تونس، دار الجنوب للنشر،1999.

3/ سـبينوزا، **رسـالة في اللاهوت والسـياسـة**، تر: حسـن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، الطبعة الأولى، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 2005.

ثانيا/ المراجع باللغة العربية:

1/ إبراهيم مصـــطفى إبراهيم، **الفلســـفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (د.ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2001.

2/ برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد الشطي، (د.ط)، الإسكندرية، المصرية العامة للكتاب، 2002.

3/ توماس هوبز، **الليفياثان الأصـول الطبيعية والسـياسـة لسـلطة الدولة**، الطبعة الأولى، أبوظبي، دار الفارابي، 2011.

4/ ج.ف. ليبنتز، **أبحاث جديدة في الفهم الإنســاني نظرية المعرفة**، تر: أحمد فؤاد كامل، (د.ط)، المغرب، دار الثقافة، 1983.

5/ جان توشـــار، **تاريخ الفكر الســـياســـي**، تر: علي مقلد، الطبعة الثانية، بيروت، الدار العالمية، 1983.

6/ جلال الدين سعيد، **سبينوزا والكتاب المقدس الدين والأخلاق والسياسة**، الطبعة الأولى، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2017.

7/ جنياف رودسـي لويس، **ديكارت والعقلانية**، تر: عبده الحلو، بيروت، منشـورات عويدات، 1998.

8/ زكي نجيب محمود، **قصـــة الفلســـفة الحديثة**، (د.ط)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936.

10/ علي عبد المعطي محمد، **تيارات فلســفية حديثة**، (د.ط)، الإســكندرية، دار المعرفة الجامعية،1984، الجزء الأول.

11/ علي فهمي خشــيم،**الفلســفة والســلطة**، الطبعة الأولى، ليبيا، الدار الجماهرية للنشــر والتوزيع،1999.

12/ فؤاد زكريا، **سبينوزا**،(د.ط)، القاهرة، النهضة العربية، 1963.

13/ ليوشــتراوس جوزيف كروبســى، **تاريخ الفلســفة الســياســية من ثيوكيدكيديديدس حتى ســبينوزا**، تر:محمود ســـيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، (د.ط)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

14/ منذر شيباني، **سـبينوزا واللاهوت**، (د.ط)، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، 2009.

15/ هاشـــم صـــالح، **مدخل إلى التنوير الأوروبي**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة، 2005.

16/ ول ديورانت، **قصــة الفلسـفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، تر ـــ: محمد المشـعشـع، الطبعة السادسة، بيروت، مكتبة المعارف، 1955.

17/ ولترستيس، **فلسفة هيجل**، ميشيل ميناس، **هيجل والديمقراطية**، المجلد الثاني، تر: إمام عبد الفتاح إمام، (د.ط)، 1996.

18/ وليم كلي رايت، **تاريخ الفلســـفة الحديثة**، تر: محمود ســـيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، (د.ط)، المجلس الأعلى الثقافة، 2001.

19/ يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، (د.ط)، القاهرة، الهنداوي للتعليم والثقافة، 2012.

ثالثا/ المراجع باللغة الأجنبية:

1/ Gilles Deleuze, Spinoza, puf, (s.t), paris, 1970.

- **المجلات:**

1/ مصـطفى الشـاذلي، **الدين والدولة عند سـبينوزا**، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3797، 2012/07/23.

- **المعاجم والموسوعات:**

1/ إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، (د.ط)، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1982.

2/ جميل صـليبا، **المعجم الفلسـفي**،(د.ط)، لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1982، الجزء الأول.

3/ جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الطليعة، 2006.

- **الرسائل الجامعية:**

1/ رحال عباسية، **الحرية والسلطة السياسية في فلسفة سبينوزا**، إشراف أرزقي بن عومر 2015/2014، مذكرة ماجيستير.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ-هـ
الفصل الأول: الدين في فلسفة سبينوزا	**6**
المبحث الأول: سبينوزا والفكر اللاهوتي	**8**
المطلب الأول: تأويل سبينوزا للكتاب المقدس	**8**
المطلب الثاني: المنهج السبينوزي في دراسة الكتاب المقدس	**10**
المبحث الثاني: فكرة الله والطبيعة	**16**
المبحث الثالث: موقف سبينوزا من العقيدتين اليهودية والمسيحية	**22**
المطلب الأول: موقفه من اليهودية	**22**
المطلب الثاني: موقفه من المسيحية	**24**
الفصل الثاني: السياسة في فلسفة سبينوزا	**27**
المبحث الأول: من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني	**29**
المبحث الثاني: الممارسة السياسية في الدولة	**35**
المبحث الثالث: الحرية في مقابل النظام الديمقراطي	**40**
الفصل الثالث: العلاقة بين الدين والدولة في نسق سبينوزا السياسي	**44**
المبحث الأول: السلطة الروحية في مقابل السلطة الزمنية	**46**
المبحث الثاني: الحرية الدينية والحرية السياسية عند سبينوزا	**54**
المبحث الثالث: نقد وتقييم	**60**
الخاتمة	**65**
قائمة المصادر والمراجع	**68**
فهرس المحتويات	**72**
الملخص	**73**

الملخص:

تعتبر إشكالية **الدين والسياسة** في فلسفة "باروخ سبينوزا" من بين أهم الإشكاليات التي عالجها مبينا فيها بأن كل منهما مجاله الخاص به، ولهذا نادى سبينوزا بضرورة فصلهما وهذا راجع بسبب أن الدين يقيد حرية الفكر، أما السياسة تحقق حريته فأصبح الدين تحت إمرة السياسة، إلا أنه بهذا لم يرفض الدين بل حصره في مجاله الخاص بعيدا عن قوانين السياسة.

الكلمات المفتاحية:

الدين، السياسة، سبينوزا، السلطة الروحية، السلطة السياسية.

Résumé:

Dans La Philosophie de Baruch Spinoza la problématique de la religion et de la politique est parmi les importantes qu'il a traitées en indiquant que chacun a son propre domaine c'est pourquoi il a appelle de la nécessité de les séparer, ceci est du au fait que la religion restreint la liberté de l'esprit alors que la politique réalise sa liberté, dance la religion devient sous le commandement de la politique, en fait, il n'a pas rejeté la religion mais il l a confiné dans sa propre sphère de toutes les loin politique.

Les mots clés :

ligion , Politique , Spinoza, Pouvoir Spirituelle, Pouvoir Politique.